

عالم الكتب

دكتـــور
عبدالفتاح مقلد الغنيمى

معركة بلاط الشهداء

فى التاريخ الإسلامى والأوروبى

(رمضان ١١٤ هـ أكتوبر ٧٣٢ م)

(**بواتيه** poitiers)

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م



٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة ت ٣٩٢٦٤٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر

عالم الكتب للنشر والتوزيع

الإدارة : ١٦ شارع جواد حسنى - هاتف : ٣٩٢٤٦٢٦ فاكس : ٣٩٣٩٠٢٧

المكتبة : ٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة - هاتف : ٣٩٢٦٤٠١

الفهـــــرس

الاهداء

إلى القائد موسى بن نصير أول من عبر جبال الألب والفتح فى أرض فرنسا

إلى السمح بن مالك الخولانى الذى استشهد على أرضها وواصل رفع الراية الاسلامية

إلى عنبسه بن سحيم الكلبى الذى وصل بالراية الاسلامية إلى بلده سانس على بعد ثلاثين كيلو متر جنوب باريس العاصمة الحالية.

إلى شهيد معركة بلاط الشهداء عبدالرحمن الفافقى الذى دفع بالراية الاسلامية الثابتة تحقيقا لاقامة دولة اسلامية

إلى عقبة بن الحجاج السلولى الذى كان يسعى إلى تحقيق هدف القادة السابقين ببناء دولة اسلامية ثانية على الأرض الأوروبية.

إلى كل شهداء الفتوحات الاسلامية على الأرض الفرنسية منذ ثلاثة عشر قرنا.

وإلى العشرين مليون مسلم الذين يعيشون فى أوروبا يشكلون القاعدة الراسخة للبناء الإسلامى حفاظا على الهوية الاسلامية وتمسكا بالقيم والثوابت التى جاء بها قرآننا الكريم وسنة رسولنا الكريم محمد بن عبدالله ﷺ.

إلى كل هؤلاء جميعا تلك الدراسة عن صفحة لم يأت ذكرها الا فى سبعة اسطر فى مصادر عربية متفرقة فكانت بلاط الشهداء.

دكتور

عبدالفتاح مقلد الغنيمى

السبت غرة جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ

٥ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٩٤

التمهيد

التاريـخ هو ذاكرة الامم والشعـوب ولكل أمة من الأمم ذاكرتـها التى تعـى بها تاريخها وأحداثها والشعب القوى الصلب هو الذى يعى أحداثه الماضية لكى يستفيد بها فى حاضره ومـستقبله لأن محتويات الـتاريخ الانسانى ليست الا عبـرة للحاضر وانطلاقة للمستقبل لكن طمس هذه الذاكرة ومحو دروس التاريخ يؤدى بالأمة إلى فقدان التوازن التاريخى وحدوث الخلل المستقـبلى مما يترتب عليه عدم فهم الأجيال لحقيقة التاريخ حقيقة صحيحة ومـن هنا فإن دراسة الأحداث التاريخية فى تاريخنا الإسلامى الممتـد إلى أكثر من أربعة عشـر قرنا من الزمان أمر ضرورى بـل حتمى لكى نستطيع الإنطلاق إلى القرن الحادى والعشرين برؤية علمية موضوعية استفادة من أخـطاء الماضـى وتصحـيحا لأوضـاع الحاضـر دعما لـقواعد البـناء الحـضارى الإسلامى المنطلق من الماضى عبوراً للحاضر والمستقبل وعيا لدرس التاريخ بدلاً من اخضاع الإنسان لعملية تفريغ وطمس للهوية وطمس ذاكرته وتشويه تاريخه وتعطيل عقله وحواسة ولوي الحقائق والتعتيـم على الحقائق ووصف العدو بالصديق وربما بالحليف في فترة قادمه .

ولقد ألـقى الكاتـب الصحفى المـصرى العالمـى الأستاذ **محمد حسـنين هيكل** مـحاضـرة قيـمة فـى مؤتمـر الادارة العـليـا بمـدينـة الاسكـندريـة يوم الخـميـس ٢٧/ ١٠/ ١٩٩٤م تحت عـنوان **[التنـمية البشـرية والتطور الادارى والاقـتصادى]** نشرتها جريـدة الأهرام القاهرية يوم السبت ٢٩/ ١/ ١٩٩٤ م وفـد جاء فى فقرات هذه المحاضـرة اشارة من الكاتـب الكبير قولـه «إن أوروبا تتحدث هـذه الأيام عن خطـر الاسلام الزاحـف وكان جحـافل المسلـمين واقفـة وراء أسوار أوروبا تـهدد باجتياحها وتنادى لرد بواتيه poitiers) اجتماعية حلت محل بـواتيه العسكرية التى كاد الإسـلام بهـا أن يدخـل اوروبا لولا أن تـصدى شـارل مارتـل لوقـف زحف المسلمين.

ولما كان جل الحاضـرين بل القلة منهـم هم الذين يعرفون اسم بـواتيه أو بلاط الشهداء وان كانـوا يعرفون المعركة لكـنهم لايعرفون متى وقـعت وفى أى قرن من القرون وقعت هذه المعـركة ومن هو قائدها من المسلمين وما هـو موقع هذه المعركة فى البلد (فرنسا) التى وقعت فيه ولما كانت هذه المعركة قد ترتبت عليها نتائج سلبية فى حركـة المد الإسلامى فـى أوروبا لاسيمـا أن خطة الفـتح الإسلامى فـى ذلك الوقت من القرن الـثانى الهجرى ١١٤هـ/ الثامن الميـلادى ٧٣٢ م كانت تضع فى نهجها الوصول بالراية الإسلامية إلى غرب أوروبـا انسياحا فى سهوله الواسعة عبر جبال الألب وشمـال ايطاليا ثم جنوب بـلاد السلاف وسهول الدانوب (يوغـسلافيا وبلغاريا) فـالقسطنطينـية ثم آسيا الصغرى (تـركيا) حتى تصل إلى دمـشق عاصمة الخلافة الأموية فى ذلك الوقت.

لكن هذه المعركة (بواتيه) حالت دون تحـقيق هذا الهدف وتوقف المد الإسلامى جنوب باريس بما يبعد مائتى (٢٠٠ كيلو متر) فى موضع بين مدينتى تور (Tours) ومدينة بواتيه (poitiers) ويتوقف المد الإسلامى نهائـيا نظرا لوقوف أوروبا خلف شارل مارتل تساعده وتقدم له كل عون عسـكرى حتى يحول دون أن تصبح فرنسا إسلامية عربية كما حدث فى أسبانيا.

ولما كانت المادة العلمية عن تلك الدراسة معدة للنشر لاتحتاج إلا لمراجعة سريعة حتى يمكن الدفع بها للطبع لتكـون بين يدى القارىء الكريم لاسيما أنه قد سبق أن صدر لى كتاب بعنوان (كيف ضاع الإسلام مـن الأندلس بعد ثمانية قرون، وكتاب الإسلام والثقافة العربية فى أوربا .

ومقالات بعنوان الإسلام والثقافة العربـية فى فرنسا ، والإسلام والمسلمون فى فرنسا بعـد معركة بلاط الشهداء فإن كـل ذلك مساعد بأن نقدم الدراسـة بصورتها التى بين أيديكم.

ولاشك أن الخوف الذى تشـعر به أوروبا حاليا وهى على أعـتاب القرن الحادى والعشريـن الميلادى من خطر الإسـلام عليها فإنـه خوف لا يشكل الحقـيقة، لأنه يمضى وراء أهـداف سياسيـة قد أشار إليـها شيمـون بيريز وزيـر خارجية اسـرائيل

(١٩٩٤م) رئيس وزراء اسرائيل حاليا قائلا فى جلسة مغلقة فى اجتماع المجلس الأوروبى فى أسبانيا والذى عقد فى أواخر شهر سبتمبر ١٩٩٤ م حيث كان أهم ماقاله أن اسرائيل تقدم نفسها كضامن للعالم ضد خطر الإسلام ومن هنا فإن الغرب عليه أن يقف وراء إسرائيل بإعتبارها الحاجز للإسلام والواقى لأوروبا ضد زحفه وعودته.

اننا حين نضع تلك الدراسة عن معركة دارت رحاها منذ ثلاثة عشر قرنا فإنها لاتعيش فى ذاكره أو وجدان الانسان العربى المسلم بينما هى تعيش فى وجدان الانسان الأوروبى فأردت أن يعرف عنها القارىء الكريم مايعرفه الانسان الأوروبى. عن تلك الأحداث .

دكتور

عبدالفتاح مقلد الغنيمى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسولنا الكريم محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فإن التاريخ الإسلامى عبر مسيرته الطويلة التى تمتد إلى أكثر من أربعة عشر قرنا مليئا بالعديد من الغزوات والمعارك التى خاضها جند الإسلام والتى حققت بعضا منها نتائج ايجابية والبعض الآخر كانت له نتائج سلبية على حركة التاريخ الإسلامى ولما كان التاريخ هو ذاكرة الأمة فإن لكل أمة من الأمم ذاكرتها التى تعى أحداثها عبر الأجيال المتعاقبة وصلا للماضى بالحاضر ونظرة للمستقبل. ولما كانت بعض الشعوب تصاب بفقدان الذاكرة وتفقد الصلة بماضيها وتاريخها ولا تنظر إلى الماضى لكى تتلافى أخطاء الحاضر. فإن الشعوب الأوروبية بما تملك من الذاكرة القوية فإنها فى نهاية القرن العشرين تعيد إلى الأذهان أحداثا تاريخية حدثت منذ ثلاثة عشر قرنا (١٣٠٠ عام) وتحاول أن تضع أمام أجيالها المعاصرة رؤية مستقبلية للقرن الحادى والعشرين تخوفا من أن تتكرر صورة تلك المعركة التي هي محور دراستنا فى هذه الصفحات القلائل وهى معركة بلاط الشهداء كما أطلقت عليها المصادر العربية، أو كما تسميها المصادر الأوروبية معركة بواتيه poitiers فإن أوروبا تصرح كل اسبوع أو اسبوعين بعقد مؤتمرات وندوات ودراسات وكتابات عن خطر الإسلام علـى أوروبا فى القرن الحادى والعشرين وأن بواتيه أخرى سوف تزحف إلى أوروبا ولكنها ليست بواتيه عسكرية ولكن بواتيه دينية اجتماعية حضارية فكأن العالم الغربى ينظر إلى الإسلام بأنه الخطر الوحيد الذى يهدد الحضارة الغربية فى القرن القادم. وكما جاء فى مقال صموئيل هانتجتون فى مجلة Foreign Afairs التى تصدر فى جامعة هارفاد بقوله ان هناك خطا من النار يمتد من أندونيسيا شرقا إلى المغرب غربا يهدد حضارة الغرب يجب الوقوف ضده. والقضاء عليه بأية وسيلة من الوسائل .

ومن هنا كان الواجب يحتم تنشيط الذاكرة العربية الإسلامية لكى تعود للوراء مسافة طويلة من الزمن حيث القرن الثانى الهجرى، الثامنس الميلادى لنسقدم هذه الدراسة لكى تكون عبرة وعظة لما يسود الساحة الإسلامية فى أحداث وصراعات ومخاطر يسعى العالم الغربى من ورائها لتمزيق الوحدة الإسلامية التى لم تعد تجتمع الا فى أداء العبادات وفريضة الحج وتختلف فى كل شيء. ومن هنا فإنه كان لابد من التعرض لدراسة معركة بلاط الشهداء وأثارها السلبية على حركة المد الإسلامى والمسرح الدموى الذى دارت الأحداث عليه والمحاولات الصعبة المستميتة بعد تلك المعركة لدفع الراية الإسلامية والتصدى الأوروبى لحملات الفتح على مدى أربعين عاما حتى وقف المد الإسلامى فى جنوب جبال البرت وقضت على تطلع المسلمين فى المدى البعيد بالتطلع مرة أخرى إلى الأراضى الفرنسية وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثمانية فصول فى تسلسل متصل الحلقات يعتمد بنائها على القاعدة الأولى وهى الفصل الأول والذى كان عن الخلافة الأموية وغزو أوروبا وكيف ان خطة الفتح الإسلامى لأوروبا قد بدأت منذ عهد عثمان بن عفان الخليفة الراشد الثالث ثم تحققت فى عهد معاوية بن أبى سفيان بمحاولات فتح القسطنطينية ولما حالت أسوار المدينة عن الفتح فكان الاتجاه إلى الغرب وبعد فتح المغرب كان الاتجاه شمالا لفتح الأندلس وتم الفتح ومن ثم كان الإتجاه فى التفكير إلى ماوراء جبال ألبرت حيث الأراضى الفرنسية الواسعة التى بدأ موسى بن نصير فى التحرك إليها عبورا لهذه المعابر تحقيقا لحلم فتح أوروبا وصولا إلى دمشق.

وكان الفصل الثانى عن الخلافة الأموية واستدعاء موسى بن نصير من الأندلس. وكيف أن الخليفة الوليد بن عبدالملك بن مروان (٨٦ ـ ٩٦هـ) وكان مترددا قد شعر بخطورة فكره موسى بن نصير فى غزو أوروبا فخاف على الجند الإسلامي فكان إستدعاء موسى إلى دمشق لدراسة الموقف معه لكن الأجل لم يمتد فى عمره وآلت الخلافة إلى أخيه سليمان بن عبدالملك الذى لم يبدى اهتماما كبيرا بالفتوحات الإسلامية فى الغرب ومن هنا لم تأخذ الحركة الإمندادية بعدها المرسوم لها وكان استدعاء موسى عامل ضعف فى حركة الإندفاع الإسلامى عبر

سهول فرنسا وكان الفصل الثالث عن الفتوحات الإسلامية فى فرنسا قبل بلاط الشهداء وفيه تحديث عن معركة تأمين الحدود الشمالية للأندلس كان يقتضى الإندفاع فى سهول فرنسا الجنوبية وكيف قام العديد من الولاة الذين تولوا حكم الأندلس بأعمال عسكرية من شأنها تثبيت الوجود الإسلامى خلف جبال البرت وكيف قام العديد من الولاة أمثال السمح بن مالك الخولانى وعنبسه بن سحيم الكلبى بدور بارز وفعال فى حركة الفتح وكيف وصل عنبسة فى حركة تقدمة وصولا إلى بلده سانس Sens على بعد ثلاثين كيلو متر جنوب العاصمة باريس الحالية وكيف أن المسلمين فقدوا السمح وعنبسه شهيدين فى أراضى فرنسا وكيف أنهما مهدا الطريق لمن يأتى بعدهما كى يعمل على تدعيم الوجود الإسلامى وتثبيت قواعده فى هذه المناطق وجاء بعد الفصل الثالث الفصل الرابع الذى كان موضوعه مقدمات معركة بلاط الشهداء وماهي الظروف السياسية على الجبهة الأندلسية والمقابل لها على الجبهة الأوروبية وكيف كان وصول المد الإسلامى الإندفاعى إلى قرب باريس تحركا لأوروبا لكى تحشد جيوشها خلف قيادة (شارل) الذي قضى على المعوقات فى فرنسا ووحد الجبهة استعدادا لملاقاة المسلمين وكيف كان الوالى المسلم الشهيد عبدالرحمن الغافقى الذى قاتل أكثر من مرة فى الجبهة الفرنسية يعد العدة للوصول بالراية الإسلامية إلى باريس لكى يتحقق بناء الدولة الإسلامية الثانية فى أوروبا بعد الأندلس وماسيكون عليه الحال بين القوتين المتصارعتين خلف وجبال ألبرت (المسلمون والفرنجة) .

ثم كان الفصل الخامس: عن دور عبدالرحمن الغافقى ومعركة بلاط الشهداء والتحرك ورسم خطة الفتح على أساس الاستقرار وادخال البلاد فى حوزة الإسلام وليس الهجوم الخاطف والعودة دون استقرار كما حدث فى السابق فى عهد السمح وعنبسة. وكيف استولي الغافقى على العديد من المدن التى تساقطت بسرعة مذهلة أمامه وكيف وصلت قواته حتى مدينة تور Tours حتى أن المصادر الأوروبية نفسها تذكر أن الغافقى قد استولى على مدينة بواتيه Poitiers التى دارت أحداث المعركة بالقرب منها وكيف أن المسلمين استولوا على مدينة تور شمال

بواتيه بأربعين كيلو متر وكان الوصول إلى «تور» هو أقصى امتداد منظم للتوسع الإسلامي. وكيف كان على الجانب الآخر شارل مارتل يضع أوروبا أمام مسئولياتها التاريخية التى تقف خلفها البابويه فى روما تدفعها لصد الهجوم (البابا جربجورى الثالث)والتى لم تقتصر على الفرنجة وحدهم بل تعدتهم إلى شعوب الشمال وكانت الحشود تزيد عن أربعمائة ألف جندى وكان أن تراجع الغافقى إلى سهول بواتيه لإتخاذ مواقعه بها بعد أن وصلته معلومات عن كثافة الحشد الأوربي ، لكن تحركات شارل كانت سريعة وما لبث شارل أن دفع قوات المسلمين جنوبا ليدرك مقدمة الجيش الإسلامى.

ودارت أحداث المعركة التى دامت عشرة أيام كان الإنتصار فى الأيام الأولى للجيش الإسلامى لكن إلتفاف الجيش الأوروبى من الخلف والوصول إلى القلب حيث استشهد القائد عبدالرحمن الغافقى.

فما كان من كبار القواد وهيئة المستشارين إلا رسم خطة الإنسحاب المنظم الذي تم ليلا ورحلت القوات الإسلامية إلى قواعدها فى الأندلس بعد أن فقدت الكثير من أفرادها الشهداء.

وكان الفصل السادس عن أحداث بلاط الشهداء وماهى العوامل التى أدت الي تحقيق الأوروبيين لهذا النصر وأسباب الانسحاب والظروف التى حتمت على المسلمين ضرورة الانسحاب وكيف اكتفى شارل وقواته بما حققوه من النجاح فى وقف التقدم الإسلامى وعدم التحرك خلف القوات المنسحبة إلى الأندلس وكيف تغنى المؤرخين الغربيين بهذا النجاح فى حين أن وقوف المد الإسلامى عند هذا الحد قد أخر تقدم الحضارة الأوروبية عدة قرون (القرن الثامن) والنهضة الأوروبية فى القرن الخامس عشر.

وجاء بعده الفصل السابع وكان عن الفتوحات الإسلامية فى فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء وفيه تحدثت عن مواصلة الولاة الذين حكموا الأندلس بعد استشهاد الغافقى ١١٤ هـ/ ٧٣٢ م) وكيف أن هؤلاء الولاة عملوا من جانبهم على

المحافظة على الأراضى الواقعة جنوب فرنسا حفاظا على الوجود الإسلامى ومن ثم اهتم هؤلاء الولاة ببناء المعاقل والحصون وحشد القلاع بالسلاح، لكن بعض الولاة بل القواد المحليين قاموا بالفتح وتوسيع نـطاق وحداتهم المحلية مثل القائد يوسف الفهرى الذى تحرك وسيطر على اقليم بروفانس وواصل تقدمه حتى نهر الديورامي والحفاظ على ماحقـقوه من مكتسبات فى الأراضى الفرنسـية ولقد كان آخر الولاة الذين كان لهم دور بارز فى الفتح هو عقبـة بن الحجاج السلولى الذى ثبت الكيان الإسلامى فى هذه المناطـق المفتوحة وشحد الطموحات لاستعادة مـافقده المسلمون فى فرنسا من جراء مـعركة بلاط الشهداء ولقد ظل يفتـح طوال أربع سنوات حتى كاد أن يصـل إلى مكان معـركة بلاط الشهـداء. لكن وفاة واستـشهاد عقبـة أنهى مرحلة التوسع بعد أن فشلت الجهود فى تحقيق التوسع النهائى بضم فرنسا وتكوين دوله اسلامية تجاور الأندلس وتكون امتداد بعد ذلك إلى دولا أوروبية أخرى.

ثم كانت الخلافات العـصبية بين العرب أنفسهم وبين العرب والـبربر عاملا قويا فى سحب قوة الدفع الـعسكرية التى وصلت إلى أربعين ألـف جندى للدخول فى الصراع الدائر بين القيسية والسيائيـة فأدى ذلك إلى خلل عسكرى ساعد على تقدم أبناء مناطق شمال البرت للاستيلاء على كل الأماكن التى سحب منها الجند الإسلامى وبذلك تشجع هؤلاء على الانقضاض على مدينة أربونه عام ١٤٢هـ/ ٧٥٩ م لتسقط بقايا الأمل فى العودة إلى فرنسا مرة أخرى واكتفى المسلمون بالتوقف جنوب جبال البرت وعدم التطـلع للشمال نحو فرنســا وكان الفصل الثامن هو نهـاية المطاف فى البحـث بعنوان لن تكـون بلاط شهداء أخرى فـى القرن الحادى والعشـرين. ولماذا يتـخوف العـالم الغـربى (أوروبا والولايـات المتحـدة) من خطـر الإسلام والعـالم الإسلامى يـعيش ممزقـا إلى وحدات اقلـيمية قـومية وتحت ظـروف تخلف عـلمى واقتصـادى ليس بقـادر على الانتـقال إلى أوروبا كـقوة عسكـرية أو اجتمـاعية أو سياســية للسيــطرة على أوروبا مـرة أخرى بعد ثلاثـة عشر قرن. لكـن الخوف من محاولة أبناء الغـرب معرفة حقيقة الإسلام والقرآن الكـريم فهذا الموضوع لا دخل للعالم الإسلامى فيه انما هى رغبة الأوروبيين والأمريكان فى معرفة جوهر الإسلام وحقيقة القرآن.

ثم جاء بعد ذلك خاتمة البحث التى توصلت فيها إلى خلاصة هذه الخطة العلمية ثم جاءت قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية التى عولت عليها كثيرا حتى كانت هذه الدراسة بهذه الصورة.

ونهاية أسأل الله أن تكون هذه الدراسة تنشيطا للذاكرة العربية والإسلامية لكى تتدارك السلبيات وصولا إلى تحقيق الإيجابيات يوضح صورة بلاط الشهداء بقدر ماأتيح لى بين يدي القراء لتبصرة الأجيال الحاضرة والقادمة على طريق الإسلام.

والله ولى التوفيق

دكتور

عبدالفتاح مقلد الغنيمى

الملك فيصل / غرة جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ

٥ نوفمبر «تشرين ثانى» ١٩٩٤م

الفصل الأول

الخلافة الأموية وغزو أوروبا

الخلافة الأموية وغزو أوروبا

كانت الخلافة الأموية منذ عهد الخليفة الأول معاوية بن أبى سفيان تتطلع إلى غزو القارة الأوروبية لنشر العقيدة الإسلامية ودعوة أهلها إلى القرآن الكريم لاسيما أن فكرة الغزو الإسلامى كانت فكرة مخططى الإستراتيجية الإسلامية لرفع الراية الإسلامية فى القارة الأوروبية وذلك منذ عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ولما كانت جدران مدينة القسطنطنية قد حالت دون اختراق المسلمين للقارة الأوروبية من الناحية الشرقية. فإنه لايوجد أدنى شك فى أن التوجه إلى الشمال تطلعا إلى أوروبا قد كانت فكرته موضوعا مطروحا للدراسة والمناقشة فى بلاط الخلفاء الأمويين الذين اخذوا على عاتقهم التوسع فى بلاد المغرب واتمام فتحه لاسيما أن الوليد بن عبدالملك بن مروان عندما أرسل قائده موسى بن نصير لاتمام فتح المغرب كانت الرؤية الإسلامية فى بلاط الخليفة الأموى تضع أسبانيا بين الأقطار التى تضمها الاستراتيجية الإسلامية للتوسع والتى لابد أنها ظهرت إلى حيز التنفيذ عندما وصلت الخلافة الأموية فى دمشق أنباء سقوط مدينة طنجه فى أيدى القوات الإسلامية وهى الميناء القريب والمشرف على أسبانيا لاسيما وأن المسلمين قد عرفوا أنه لاتوجد هناك بلاد وراء بحر الظلمات (المحيط الأطلسى) فكان التوجه الشمالى نحو أسبانيا هو التوجه الطبيعى لاسيما ان العامل الجغرافى والبعد الامتدادى وقرب أسبانيا من المغرب قد لعبت الدور الأكبر فى فكر رجال الاستراتيجية العسكرية الإسلامية للقفز على أسبانيا لاسيما أن هناك جيلا من رجال الدعوة الإسلامية والمقاتلين الأشداء من البربر حديثى العهد بالإسلام الشديدى الايمان برسالة القرآن والذين خبروا كل ألوان القتال بعد أن أمنوا خط الدفاع الغربى للفتوحات الإسلامية بالوصول إلى مياه المحيط فكانت أسبانيا هى الهدف القادم لأنها ضرورة حتمية فرضتها سياسة نشر الدعوة الإسلامية والتوسع فى ادخال أهل أوروبا فى هذه العقيدة هى الطابع العام للدولة الإسلامية أثناء خلافة الوليد بن عبدالملك بن مروان (٨٦ ـ ٩٦ هـ).

لاسيما أن عقبة بن نافع الفهرى قد امتطى صهوة جواده واتجه صوب الغرب إلى المحيط الأطلسى فلم ير الا بحرا هائلا وحسب أنه ليس هناك خلف هذا البحر عالم آخر واناس يعيشون فإذا موسى بن نصير يتجه شمالا ورأى أوروبا وعزم على أن يعبر هذا المضيق وينشر الإسلام خلفه خاصة وأن سكان أسبانيا كانوا يحكمون مناطق فى المغرب استولى عليها المسلمون وكانوا لذلك فى صراع مع المسلمين لاسيما أن التوسع جنوبا عبر الصحراء الكبرى والإنتشار فى مجاهل هذه الصحراء لم يكن وارد فى فكرة السياسة الإسلامية الأموية لذا فإن الاتجاه لفتح أوروبا عن طريق الأندلس هو الاتجاه الطبيعى والمقبول بعد احراز الانتصار الواسع والتمكن لقوى الإسلام فى المغرب والسيطرة على ضفاف مضيق جبل طارق الجنوبية وهكذا كان الباعث السياسى هو المحرك الأول لعملية غزو أسبانيا. وكان غزو أسبانيا عملية حربية تفوق كل العمليات الحربية التى أنجزتها الدولة من قبل ولذا كانت دراسة الأمر عن قرب والاطلاع على كل تفاصيله رغم موافقة الخلافة على الخطة والتى شاركته نفس الموقف بل حفزته للتقدم وكان أن تم العبور وحققت الغزوة انتصاراتها العسكرية وكان موسى بن نصير يتابع ويراقب باهتمام شديد الموقف على الساحل الأفريقى ويتبع أخبار الحملة.

ويبدو أن أخبار الانتصارات بقيادة طارق بن زياد فى كل أنحاء أسبانيا قد كان لها وقع طيب فى نفس موسى بن نصير أمير القيروان مما حفزته لكى يتحرك. بنفسه على رأس قوات اسلامية فيكون قائدا للعمليات العسكرية وليقف هو شخصيا على طبيعة الأوضاع القتالية ومراقبة سير العمليات عن قرب وهكذا كان القرار بأن يكون موسى بن نصير الذى هو المسئول الأول والقائد العام للجيش فى المغرب وأسبانيا لكي يتخذ قراراته الحاسمة في الوقت الملائم لاسيما أنه كان يقدر الموقف ويدرسه بعناية كافية ويضع كل الأمور فى موضعها الصحيح ويضع لكل شىء حسابه لاسيما أنه بعث للخليفة الأموى الوليد بن عبدالملك يستأذنه فى العبور واصدار الأمر له بالإنطلاق إلى أسبانيا. ولما كانت القيادة الإسلامية فى دمشق قد أعطت الضوء الأخضر بالتحرك سريعا لاجتياز المضيق بعد أن كانت القوات لدى

طارق بـن زياد على أهـبة الاستعـداد فإن تحرك موسـى بن نصيـر لقيادة الـقوات المنتصرة أمرا طبيعيا باعتباره المسئول الأول أمام الخليفة عن هذه التحركات العسكرية وكان موسى بن نصيـر يرى فى طلب طارق بن زياد العون والمسانـدة السريعة دافعا له دلالة قـوية يحتم علـيه الزحف بقـوات كبيرة لكـى يكمل مع طارق اتمـام فتح أسبانيا لأنه من المستـحيل أن يتم فتح أسبانيا بالقوات القليلـة المتقبية مع طارق بن زياد التى لم تصل إلى اثنى عشر ألف مقاتل.

وهكـذا فى أقل من عـام واحد كانـت السيادة الإسـلامية قـد توطدت وثبـتت اقدامها وتعـمقت جذورها فى كل الأراضى الأسبانـية فقد استقر المسلمـون نهائيا ولم يعد هناك أدنى شك فى توطيد النفوذ الإسلامى فى أقل من عامين (٥رجب ـ ٩٢ هـ / وأواخر عام ٩٤ هـ).

وهكذا كان تحقيق الهدف الذى جـاء الجيش الإسلامى من أجله لأقوى من أى أسباب أخـرى لأن دافع المعانـى الإسلامية السـامية قد جعـل من المسلـمين أمة لا تتخلف عن تقديم كل شىء من أجل اعلاء كـلمة لا اله الا الله محمد رسول الله لاسيما أن الجنـد الإسلامى الفاتح قد وطن نفـسه منذ العبور علـى الاستقرار لأنه يتمتـع بالروح الإسلامية العـالية التى توفرت لـدى الفاتحين عاملين عـلى رفع راية الإسلام لكى تسود شريعة الله ويكون الدين كله لله عاملين على ابتغاء مرضاة الله تعالى وحده (لا غالب الا الله)

وكان موسى بن نصير قد أدرك خطورة الانتـشار الواسع للقوات الإسلامية فى أسبانيا دون تغطـية عسكرية كافية فأبحر فى رمضـان ٩٣ هـ/ يونيو ٧١٢ م بقوات بلغت ثمانية عشر ألفا.

ومن هنا فإن فتح الأندلس لم يكن عملا مرتجلا بل كان يسير وفق خطة علمية موضوعـية مرسومة ومدروسـة من قبل قيـادة القيادة الإسلامـية العليا فـى دمشق وتنفيذها يتم فى القيروان.

وبعد أن تم العمل العسكرى التام بدأ موسى بن نصيـر يمارس عمله كأول ولاة الأندلس فى طليطله وهو أول حاكم مسـلم يحكم قطرا أوروبيا وكان تأكيد ذلك عندما أمر موسى بن نصير بضـرب عملة إسلامية فى دار السكة بطليطلة وأرسلت الرسل (مغيـث الرومى، على بن رباح اللخـمى) إلى الوليد بن عبدالملك بدمشق يخبراه بما تم الجازه من نصر عظيم ولـكى تذاع أخبار هذه الإنتصارات فى أرجاء العالم الإسلامى وإرسال بعض الهدايا البسيطـة للخليفة وليس كنوز، وجواهر كما يذكر المؤرخون الغربيون لأن الخلافة الإسلامية لم يعنيها من الأمر الا نشر الإسلام وتوسيع دائرة المد الإسلامى والعمل على اخراج الشعوب الأوروبية مثل غيرها من الشعوب التى وصل إليها نور القرآن لكـى تكون فى نطاق العمل الإسلامى الموحد فى ظل الخلافة الإسلامية.

وهكذا كان قرار موسى مـن وجهة النظر العسكرية هو السـيطرة على هذه المدن ثم فتـحها ولقد شعـر موسى بأن الوقـت قد حان لاتخاذ قـرارات تنظيميـة باعلان الحكم الإسلامى والشريعة الإسلامية فى المدن المفتوحة وعقد موسى مجلسا حربيا لبحث المـوقف العسكرى الـعام ومناقشة المـرحلة التاليـة فى الفتح وما جـرى فيها وأتفـق موسى بن نـصير وطـارق بن زياد عـلى تنسـيق الفـتوحات الـباقية بـبلاد الأندلس.

ولقد كانـت الخلافة الأموية تسعى لخـدمة الإسلام لأن الهدف كان قرآنيـا بحتا ومن هنـا كانت الخلافة عـلى استعـداد لإرسال الجنود والبـذل بالأرواح والأموال والتضحية التى كان خلفاء بنى أمية حريصون عليها ويجدون فى الفتح والغزو سيرا على خطى الخلفـاء الراشدين وتلك هى سمات الدولة الإسلامـية وسمات الخلفاء الأمويين الذين يعملون لأجل نصرة الإسـلام وارسال الفقهاء والعلماء وبث الروح الإسلامية فـى البلاد المفتوحـة وبناء المساجد وإنـشاء الإدارة الإسلامية التـى تسير وقف نهج القرآن الكـريم وشريعة الإسلام والتى تعمل على المـساواة بين المسلمين جميعا بغض النـظر إلى الأجناس والألوان واللغات فالكل سواسيـة يسعون جميعا لهدف واحـد هو العمـل من أجل نشر الإسـلام وتعريف غيـرهم بالقـرآن الكريم ومنهجه.

وتذكر المصادر أن موسى بن نصير قام بدور فعال فى الفتوحات شمالا حتى بلغ جبال البرت أى الأبواب وهى التى تسمى البرانس ووقف على أبواب فرنسا.

وقد استخدم العرب جبال البرنيه من الجنوب للشمال للعبور أى غاليا «فرنسا» منذ أن وطئت أقدامهم هذه الجهات وكانت هذه الجبال الشاهقة الوعرة حاجزا هاما على مر القرون يفصل شبه الجزيرة الايبريه عن غاله ويصف الجغرافيون المسلمون القدامى جبال البرنيه (أو البرت أو البرتات) وصفا لايختلف كثيرا عما تقدمه كتب الجغرافية الحديثة فى ذلك إذ أن يصف الشريف الادريسي فى كتابه (نزهة المشتاق في أختراق الآفاق) هذه الجبال فيقول والأبواب الرومانية طولها من الشمال إلى الجنوب مع سير تقويس سبعة أيام وهو جبل عال جدا صعب الصعود فيه أربعة أبواب لها مضايق يدخلها الفارس بعد الفارس وهذه الأبواب عراضى لها مسافات وهى منحرفة الطرف وأحد هذه الأبواب الباب الذى فيه ناحية برشلونة ويسمى برت جامة والباب الثانى الذى يليه يسمى برت أشيرة، والباب الثالث منها يسمى برت شنني روا Roncesvalles وطوله فى عرض الجبل خمسة وثلاثون ميلا والرابع منها يسمى برت بيونه ويتصل بكل برت (باب) منها مدن فى الجهتين فما يلى برت شيزروا مدينة بنبلونه وهو الذى أطلق عليه ممر الرونسفال وهو أقرب الممرات إلى مدينة بنبلونه وهذا الممر الغربى هو الممر الذى عبرة فيما بعد عبدالرحمن بن عبدالله الغافقى عندما اتجه عمليا لغزو فرنسا وكانت موقعة بلاط الشهداء وبواتيه هى محور دراستنا

وهكذا فإن الذى ينظر إلى طبيعة هذه الجبال الشاهقة والممرات الطبيعية التي كانت نخترقها والتى لاتسمح الا بمرور فارس واحد يدرك مدى الصعوبة التى كان يلاقيها المسلمون فى عبورهم هذه الأماكن الخطرة الوعرة التى كانت تشكل حاجزا طبيعيا صعبا حال دون التوسع فى ارسال الحملات إلى فرنسا ولولا وعروة هذه الجبال لتغير الموقف التاريخى فى هذه المناطق ومن ذلك فإن الفتح الإسلامى للأندلس لم تكن به جبال شاهقة مثل جبال البرت وهذا سهل عملية الفتح بينما أعاقت جبال ألبرت فى الإنطلاق الإسلامى فيما بعد فى أرجاء أوروبا الواسعة.

إضافة إلى أن موسى بن نصير قد اتجه غربا ودخل أشنوريس وبذلك فإن موسى يكون قد فتح مناطق فى الأراضي الكبيرة (فرنسا) حيث جبال البرت وقاد حركة المد الإسلامى بنفسه وانطلق بالسرايا التى معه وفتح بلاد فى جنوب فرنسا حتى بلاد قرقشونه واريونه، وابنسيون وليون على نهر الرون وربما يكون موسى قد وجه السرايا لاختيار هذه المناطق وربما تكون سرايا استطلاعية كتلك التى قام بها طريف بن مالك لاستطلاع الاندلس قبل العبور لفتحها ويذكر ابن خلدون أن موسى بن نصير قاد السرايا بنفسه وراء جبال البرت فى فرنسا وقد تكون هذه السراي التى ربما قادها بنفسه، او أرسل أحد من أبنائه عبد الأعلى أو عبدالعزيز أو مروان لاستكشافها مادام أنه قريبا منها وان أحد التابعين واسمه (حيان بن أبى جبله) قد غزا فى بلاد الفرنجة مع موسى بن نصير إلى بلدة يقال لها قرقشونه.

ومن هنا فإن لاعجب أن فكر موسى بن نصير بعد أن فرغ من فتح أسبانيا أن يعبر جبال البرت إلى بلاد غاله (فرنسا حاليا) ثم يمضى إلى أن يفتتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية بطريق أوروبا بعد أن استعصى فتحها على المسلمين من الجانب الشرقى ثم يستمر موسى فى فتوحه حتى يصل إلى بلاد الشام مركز الخلافة الأموية.

وقد رأى المؤرخ المقرى فى ان موسى كان يأمل ان يخترق مابقى عليه من بلاد الفرنجة وأن يقتحم الأراضى الكثيرة حتى يصل بالناس إلى الشام مؤملا أن يتخذ مخترقة بتلك البلاد طريق سلكة، أهل الأندلس فى سيرهم ومجيئهم من الشرق وإليه على البر لايركبون البحر وهنا كانت فكرة ابن نصير صائبة لأنه كان سيسلك طريقا بريا معروفا ويخترق بلاد عدة وأن أهل أسبانيا والأوروبيين قد سلكوا هذا الطريق فهو كان سيزحف فى طريق واضح المعالم ومعروف من قبل أهل الأندلس والأوروبيين.

ولكن الدكتور حسين مؤنس يستبعد أن يكون موسى بن نصير قد فكر فى أمر خيإلى عسير التحقيق كهذا أما غيره من المؤرخين المحدثين أمثال عبدالحميد العبادى فيرى أن موسى بن نصير قد فكر بعد أن أتم فتح أسبانيا فى أن يعبر جبال البرانس

إلى أرض غالبا «فرسا» ومـنها يسير إلى فتح روما ثم القلسطنـطينية ومن أجل هذا المشروع الضخم استدعى الخليفة الوليد بن عبدالملك قائده موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد فالخليفة كراع مسئول عن رعيتـه كان يخشى أن يلعب النصر العظيم برأس موسى فيغرر بالمسلمين فى أرض واسعـة وطريق لم يقطعه فاتح من قبل فلم يخترق أوروبا جيش موحد من أسبانيا إلى القسـطنطينية ويرى الدكتور فيليب حتى فى أنه عـلى الرغم مـن أن هذه الفكرة الـهائلة والخـلابة إلا أن حلم الـعرب بأن يقتـحموا طريقـهم عبر أوروبا يجـوز أن يكون قد مر بـأذهان بعض القـادة العرب الذين لم يكن معلوماتهم عن جغرافيا أوروبا كثيرة.

ومن هنـا كان اختيـار بلاد (غاله) الأراضى الـكبيرة قـد تم بهذا الشـكل وهذا يعطى الدلـيل على أن موسى بن نصير وطـارق بن زياد استمراً فى عملـيات الفتح شمال أسبانيا حتـى ولو لم يذهب موسى بنفسه وراء البرت فانـه استمر فى ممارسة أعمال الفتح فى مناطق الثغر الأعلى وما بعده فى اتجاه الشرق والشمال وأن موسى فتح بلاد (الباسك) الـبشكنش وأوغل فى بلادهم وأنه فتح بنفـسه وربما التقى مع طارق وتعاونا معا فى الفتح وأن اللقاء كان حسب خطة مدروسة وترتيب سابق.

وهكذا كان التحرك الإسلامى فيما وراء ألـبرت ماهي إلا خطة مدروسة للتوسع فى الفتوحات وضم فرنسا إلى الأراضى التي تم فتـحها فى أسبانيا توطئه للانطلاق منهـا إلى جهات أوروبـية أخرى وصولا إلى دمـشق العاصـمة الأموية عـن طريق القسـطنطيـنية بعـد أن تدين له جـنوب أوروبا وأن يسـتمر فى زحـفه حتى يـفتح القسطـنطنية من الغرب بـعد أن عجز حصار معاويـة بن أبى سفيان عن فتـحها من الشرق فكانت خطة التوسع فى سهول فرنسا تحـقيقا لهذا الهدف البعيد الذى يسعى إلى احـتواء أوروبـا تحت لـواء الإسلام الذى كـان هدف الـقيادة الـسيـاسيـة فى دمشق. فى ذلك الوقت والتى عملت ماوسعها العمل لتحقيق هذا الهدف.

الفصل الثانى

الخلافة الأموية واستدعاء موسى بن نصير من الأندلس

الخلافة الأموية واستدعاء موسى بن نصير من الأندلس

فى الوقت الذى كانت فيه القوات الإسلامية تنطلق شمالا وشرقا عبر الأراضى الفرنسية كان ضابط الاتصال والارتباط بين القيادة العسكرية فى الأندلس والخلافة الأموية فى دمشق (مغيث الرومي) قد عاد من مهمة في دمشق بعد أن قد حمل رسالة من موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد بن عبدالملك، لكنه بعد فترة زمنية قصيرة عاد يحمل أمرا من الخليفة يوقف العمليات العسكرية فى أوروبا وعدم التقدم والزحف شمالا والتوقف فورا وكان القرار واضحا صريحا فى عدم التقدم قيد أنملة ووقف العمليات العسكرية (٩٥ هـ/ ٧١٤ م) ولا يستطيع أحد تفسير دوافع الخلافة الأموية من وراء قرار التوقف هل كان نتيجة لاجراء خاص من الوليد الذى أراد الوقوف مباشرة على انجازاته فى الأندلس فى وقت ربما شعر باقتراب نهايته «الموت» أم أن المسألة أبعد من ذلك ولها ارتباط باستراتيجية الدولة التى خشيت من انتشار المسلمين فى بلاد بعيدة وليس ثمة شك أن القرار فى غير محله وأضاع فرصة التاريخ الإسلامى التى لن تتكرر مرة أخرى باجتياح القارة الأوروبية على أيدى المسلمين والأحداث المستقبلية التى ستجرى على الساحة الفرنسية تثبت كيف ستكون نهاية مد خط الإسلام لكن على الجانب الآخر كان موسى يريد اجتياح القارة الأوربية لاسيما أن قواته التى تحرك بها من المغرب والبالغ عددها ثمانية عشر ألف جندى لم تكن قد دخلت فى معركة كبيرة مع قوات الأعداء سواء داخل أسبانيا أو داخل الأراضى الفرنسية فى الجنوب والتى تم السيطرة عليها. وان هذه القوات كانت لاتزال مستعدة لتزحف إلى أوروبا فى وقت لم تكن فيه آية قوة أوروبية تستطيع الوقوف أمام الزحف الإسلامي الجارف لاسيما أن المدد كان بحالته التى قدم بها من المغرب والقوات على استعداد للزحف السريع لأنها لم تشتبك فى معركة حقيقية لكن موسى بن نصير أمهل مندوب الخلافة (مغيث الرومى) بعض الوقت للتقدم فى الأراضى الفرنسية وكذلك فى قشالته لتأمين الحدود الشمالية للولاية وكان قرار استدعاء الفاتحين فى أسبانيا سببا فى عدم توطيد النفوذ الإسلامى فى تلك المناطق داخل هذا الاقليم والأقاليم الأخرى فى

الشمال الغربى التى صارت فيما بعد منافذ للحركات القومية فى أسبانيا حيث انطلق منها تيار الاسترداد عندما ضعف الحكم الاسلامى فى البلاد فكان عدم القضاء عليها سببا فى تقوية الروح القومية للأسبان ولقد كان آخر اجراء منحه موسى لنفسه رغم الحاح رسول الخليفة هو التقدم فى اقليم قشتاله غير أن ذلك لم يتحقق الا بصورة جزئية وتركت بعض الأجزاء فى المناطق الشمالية الغربية كما هى دون فتح . .

وهكذا أنجزت احدى أضخم عمليات الفتح فى الدولة الأموية فى مدة لم تتجاوز الأربع سنوات استطاع خلالها موسى بن نصير وطارق بن زياد أن يرفعا راية الحكم الإسلامى لأول مرة فى القارة الأوروبية والتى بدأت تطلعاتها بعد آخر لاسيما أن طموح المسلمين لم يقف عن حد اطواء شبه الجزيرة الأربيريه تحت لواء الإسلام بل كان هذا الطموح كثيرا ما يقفز وراء جبال البرنيه التى تفصلها عن مملكة الفرنجة وهناك تحت أقدام هذه الجبال ربما تكون فكرة التوغل فى أوروبا وتطويق الدولة البيزنطية قد داعبت خيال القائد العربى موسى بن نصير كما أشار إلى ذلك ابن خلدون ولكن ذلك يبقى فى اطار الإستنتاج على الرغم من أن تحقيقه فى تلك الظروف لم يكن مستحيلا الا أن خطة الدولة انتهت عند هذا الحد فأمرت القائد بوقف العمليات العسكرية في أوروبا والعودة إلى دمشق ،وهكذا ترك موسى بن نصير أقليم (جليقه)استجابة لإستدعاء الخليفة فرفع الحصار عن مدينة «لك Lugo» بحليقه وقابله طارق ورحلا سويا إلى الشرق حيث عاصمة الخلافة الأموية دمشق.

ونستطيع القول أنه من الصعب التوقف بالنقد والتقويم أمام الأحداث التاريخية وخاصة اذا كان لهذا الحدث أبعاده الممتدة إلى مسافات بعيدة من الزمن، وكان له نتائج مباشرة أدت إلى تغيير مسيرة التاريخ وفى هذه الأحداث التى يصعب وضعها فى الميزان التاريخى وتحديد نتائجها بدقة فى موضوع كعودة قادة فتح الأندلس إلى دمشق بهذه الصورة المفاجئة دون ابداءالأسباب .

ونحن لانستبعد أن تكون هذه الفكرة (الوصول من الأندلس إلى دمشق مخترقا أوروبا من الغرب إلى الشرق) قد دارت فى ذهن موسى بن نصير فقد كان قائدا

طموحا بعيداً لأطماع لاسيما أن موسى بن نصير قد اقترب فعلا من جبال البرانس وفتح البلاد التى يسكنها قوم يتحدثون اللغة البكتييه وهى بلاد مقفرة يسكنها شعب همجي ومـن هنا قد أصدر الخليفة الوليد بن عبدالملك بن مروان بل وألح على عودة موسى بن نصير من الأندلس إلى دمشق وفى هذا القرار غرابة محيرة لأنه ليس له شواهد كثيرة مع غيره من قادة الفتح الإسلامى الذين سبقوا موسى بن نصير فى سجل الفتوحات الإسلامية لاسيما أن موسى كان يعتزم بهمة عالية وتطلع إلى دخول جليقيه فى شمال غرب أسبانيا (اقليم الاسترداد) فبينما هو يعمل فى ذلك ويعد العدة له يأتى له الأمر بالخروج من الأندلس والأضراب عن التوغل فى الأراضى الفرنسية وهنا يتضح أن الخلافة هى صاحبة قرار التوقف وليس أية عوامل أخرى كانت وراء هذا القرار لكن موسى لاطف رسول الخليفة وسأله الانتظار برهة من الوقت إلى أن ينفذ عزمه فى فتح حصن «لك» ثم المسير معه فأفتتح حصن بارو وحصن ليك حتى بلغ صخرة بلاي على البحر الاخضر وكان بلاى هذا هو الذى اشعل نار الثورة ضد الوجود الإسلامي وقاد ومعه ثلاثين شخصا حركة الاسترداد التي تم بها طرد المسلمين نهائيا من الأندلس وبث الشعور القومي الأسباني لتحقيق هذا الهدف ولما كان قرار استدعاء الخليفة لموسى بن نصير ونائبة طارق بن زياد قرار نهائيا فكان لابد من العوده إلى المغرب ولقد ترتب علي تلك العودة توقف مؤقت للزحف الإسلامي نحو مناطق شمال غرب اسبانيا وعاد القاده بجنودهم من هذه البلاد فى اتجاه الجنوب ومع رحله العودة (ذى القعدة ٩٥هـ/ ٧١٤م) توقفت عمليات الفتح (لأن موسى لم يعهد لاحد باتمام فتح الأندلس فى الشمال الغربى الاسبانى وهذا يشير إلى ان ما بقى فى الشمال الاسبانى دون فتح قليل جدا ولم يعد يشكل خطر على الوجود الإسلامى (وجه نظر موسى وطارق) فى حين كان يجب على الوالى الاول عبد العزيز بن موسى بن نصير بعد أبيه ومن تبعه من الولاه العمل على القضاء على هذه الجيوب التى من الممكن ان تشكل حظر فى المستقبل على الوجود الإسلامي بهذه الديار وقد وقع الجميع فى خطأ فادح بعدم القضاء التام على كل بؤر وجيوب المقاومه القوميه التى تركت لما سيكون عليه الحال دون تحسب للاحداث فيما بعد.

لذا كان قرار استدعاء كل من موسى بن نصير ونائبه طارق بن زياد إلى مقر الخلافه الأمويـة لمقابلة الخليفه الوليد بن عبد الملك قرار لا يستطيع احد تفسير دوافعه وما هى الأسباب وراء هذا الإستدعاء لكن نضع امام القارئ الكريم تصورا مسبقا وهو ان قرار استدعاء موسى وطارق فى الأندلس كان قرار له عواقب وخيمه على الإسلام والمسلمين فى الأندلس وكان التعجل بعدم اتاحة الفرصه لتقدم موسى لا سيما أن هناك أراء تذكر أن رسول الخليفة «مغيث الرومي» لم يكن باراً بموسى في نقله من أخبار إلى الوليد عن الفتح وإنه كان يكره موسى ويريد به شرا لذا نقل الصورة غير الواقعية أمام مجلس الخليفه مما أثار حفيظة الخليفه وصور الأمر على إنه كارثه تحل بالمسلمين إذ تقدموا فى السهول الواسعة لفرنسا وأن مغيث الرومي كان رجلا متآمرا قلقا لاسيما إنه أصر على عدم تحرك موسى فى فتوحاته شمالا لاسيما وان الطريق كان ممهد للتقدم دون ادنى مقاومه من جانب المدن الجنوبية في الأراضي الفرنسية وكان ذلك يشكل قاعدة صلبه للاستقرار والانطلاق شمالا فيما بعد وقد يكون تفسير هذا القرار انه إجراء خاص من القيادة العليا فى دمشق للوقوف مباشرة على أخبار الفتح فى الأندلس وإنه يريد أن يستمع منهما عن أخبار الإنتصارات الباهرة التى كانت تصل إلى مسامعه عن طريق ضابط الاتصال مغيث الرومى وربما تكون المسألة لها أبعاد أخرى وزوايا متعددة وأن المسألة ربما يكون لها إرتباط باستراتجيه الدولة التى خشيت من إنتشار الإسلام فى بلاد بعيده وأنها ربما لم تكن تعد لامر عدتة من حيث الحشد والتجهيز والإعداد البشرى والمادى. وكانت ترى فى وجود ثلاثين ألف جندى قتل منهم ثمانية ألف جندى قوة لاتستيطع التوغل فى اوريا وأنه لابد من اعادة النظر فى أمر فتح غاله الفرنجة) ثم الانسياح شرقا وصولا إلى القسطيطينة ثم دمشق بعد ان يتم اعداد العده اللأزمه للفتح وتجهيز القوات ثم إنطلاق موسى وطارق إلى الاندلس مرة ثانية لمتابعة الفتح وليس ثمه ادني شك فى أي القرار كان قراراً خاطئا وفى غير محله ولاتوقتيه لاسيما أن الخلافة كانت دائما ترسل الإمدادات والمؤن والمعدات دون استدعاء القائد العام لكن القرار أضاع من المسلمين فرصه تاريخية لم ولن تكرر للمسلمين فى أوربا إذا كان بإمكان هذه القوات اجتياح أوربا باقاليمها المتعددة دون أن توجد

قوه حقيقية تستطيع الوقوف أمام الزاحف الإسلامى لاسيما أن القاره وفرنسا بالذات لم تكن قد فاقت من صدمه القضاء السريع على دولة القوط فى اسبانيا وفقد لذريق قواته كامله فى معركة واحدة لان القواة الإسلامية لم تقابل فى تقدمها فى جنوب فرنسا حشود مثل التى قاتلها طارق بن زياد فى معركة شذونه أو لكه Lug وقد كان هذا الأمر من السهل تحقيقه لأن الظروف كانت مناسبة جدا ولم يكن هناك معوقات أو صعوبات تقف أمام القوات الإسلامية إلا أن خطة الدولة انتهت عندهذا الحد أمرت القائدين بوقف العمليات العسكرية فى جنوب فرنسا والعودة إلى الأندلس. وقد يكون للوليد بن عبد الملك حجته ورأيه فى قرار الاستدعاء والتوقف عن التوسع ذلك لانه كان يتخوف على المسلمين ان يكونوا فى ارض يعيدة متقطعه ومحاطه بمناطق غير إسلامية ولا يمكن الاتصال بها بسهولة نظرا لبعدها عن بلاد العالم الإسلامى أو مراكز إرتباطه وإمدادة وإنه أراد أن يبين له موسى الموقف بنفسه وفى حقيقة الأمر لو أن الاجل مد في عمر الوليد بعد ان استمع إلى موسى وطارق لكان هناك راى آخر فى اتمام عمليه الفتح وكان الموقف قد تغير نهائيا ذلك لان الوليد ليس هو سليمان الذي تولى الخلافه بعد اخيه.

لكن حدث ما حدث وقتلت فكرة موسى التى كان يسعى لتحقيقها وهي بناء دولة إسلامية فى فرنسا وان فتحها كان فتحا مستقرا وليس إرسال سرايا سرعان ماتعود إلى قواعدها جنوب جبال البرانس لكن إقامه دولة إسلامية فى فرنسا كما اقيمت فى الأندلس كانت تحتاج إلى خطط جديدة وليس الإندفاع والتقدم دون دراسه بل قوات أكثر عدة وعتاد وعدد آخر يتم تنفيذ الهدف ومن هنا كان قرار عبور جبا ل البرنيه «آلبرت» والوصول إلى الجبال ذات المنافذ إلى سهول فرنسا واختراقها والوصول إلى اريونه جنوب فرنسا ثم الإستمرار في فتح الأراضي الكبيرة حتى الوصول الي الشام عن طريق دوله الفرنجة وشمال ايطاليا حيث بلاد اللمبارد وبقيه أقليم ايطاليا ثم جنوب بلاد السلاف وجنوب سهول الدانوب (يوغسلافيا) ثم بلغاريا فالدولة البيزنطية حيث تسقط الفسططينة ثم آسيا الصغرى «تركيا»حتى يصل إلى بلاد الشام حيث العاصمة دمشق وهكذا كانت هذه الخطة

الجرنـية من أسـباب قلق الـوليد ورأى أن مـايدور بفـكر موسى مـاهو إلا تغـرير بالمسلمين فبعث إلـيه وقال لسفيره مغيث الرمى وكتب له كتابا خـطيا يأمره بالتوقف والعوده لمناقـشة أمور الفتح ويذكر المقـرى فى كتابه نفح الطيـب عن عودة موسى إلى دمشق بإنه تركـها «جنوب فرنسا» وهو مع ذلك متلهف عـلى الجهاد الذي فاته آسف علـى مالحقه مـن الإزعاج وكان يؤمل أن يـخترف مايـقى من بلاء الـفرنجة ويقحتم الأرض الكبير حتى نتصل بالناس إلى الشام.

ونحن نؤكد هذه الفكرة والاقوال السابقه بشآن الوصول إلى القسطيطينة لاسيما أن موسى كـان قد تجاوز فعلا جبـال البرت وتوغل فـى جنوب فرنسا وهـذه تقوى الفكـره وتؤكدها فقد كـانت واقعيه مـدروسه من قبل قـائد مدرب ماهـر لـه خبره واسعة فى بلاد المغرب والـفتوحات ولست مجرد أفكار خياليـة ذلك لأنه كما سبق القول فإن قـواته الثمانية عـشر ألف التي عبر بـها من المغرب كانت لاتـزال يكامل قوتها وقـد يكون موسى كتب إلـى الخليفة الوليـبد بخطته او يكـون رسل موسى الذين أرسلوا إلى دمشق بعد فتح طليـطله وكانوا هؤلاء قد ذكروا هذه الفكرة التى ينوى موسي تنفيذها أمام الخليفة.

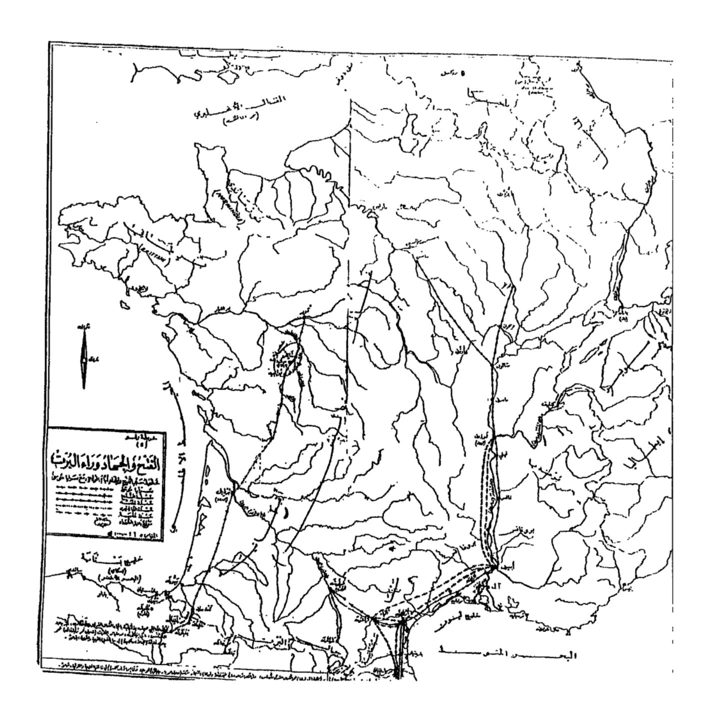
ومن هنا كان الخليفه الوليد قلق على جنود الإسلام وكذلك مما يذكر أن موسى أرسـل فى اوآخر خريف ٩٤ هـ ٧١٣م على بني رياح ومغيث الرومـى لكي يأخذ راى الخليفـه فى فكرة الفتـح لكل اوربا وكان موسى قـد اخبر الخليفـه عن طريق هذين الرسولين بماتم انجازه وفتحه ومابنوى القيـام به من فتوحات لاحقه مستقبيلية وكانت هـناك اقوال تذكر ان الخـليفه الولـيد ارسل رسولا ثـانيا الى موسـى لكي يستعجـله فى العودة وكان رسوله الـثانى هذه المرة «أبي نصر» وقـد كانت المدة بين الرسولين حوال أربعة شهور وذلك دليل قوي علـى قلق الخليفة بشأن خطه موسى وفتح أوربا وكان موسى قد أمـضى ثمانية شهور فى الفتح فى شمـال اسبانيا حيث الأراض الفرنـسية شمال جـبال البرانس مـنها أربعة شـهور قبل الرسـولين الأولين مغيث الرومي وعلى بن رباح) والأربعة الاخرى بعد قدومهما من دمشق

وهكذا تـرك موسى بن نـصير عمـليات الفـتح فى جنـوب فرنسا بـعد ان رتب الأمور وهو فى مدينة لك Lugo منصرفا نحو جنوب فرنسا. وهكذا يكون موسى بن نصيـر قد ادي دوره تجاه الإسلام والمسلمـين وتوفى وهو متوجهـا لأداء فريضة الحج برفقة الخلـيفة سليمان بن عبدالملك وهو فى المدينة المنوره ودفن بـالبقيع او دفن حسـب روايات أخرى في وادي الـقرى(العلا حالـيا) شمال الممـلكة العـربيه السعودية. وكان موسـى دائما يدعو الله أن برزقه الشهادة أو يمـوت ويدفن بالمدينة المنوره وقـد استجاب الله دعـاءه وهكذا كان فتح الأنـدلس والتحرك شمـال جبال ألبرت والانسياح جنـوب فرنسا معجزة من معجزات الإسلام التى بـهر بها العالم اذ كيف استطاعت قـوات إسلامية محدودة العدد والعدة التمكـن من فتح هذه البلاد الواسعـه وتحقيق تـقدم سريع واجـتياز مضـيق جبال ألـبرت انطلاقـا إلى الإراض الفرنسية للمضى فى فتحها ولم تلحق بهم آيه هزيمة عسكرية ولم يقابلوا قوه حقيقة فى المـيدان رغم مـا عرف عـن القوط بـأنهم أمـه وصفت بـالشـجاعه والأمـجاد العسكرية وأن كل ما قدم به المسلمون فـى فتح هذه البلاد ثلاثين ألف مسلم قدموا أسبانيا عـلى ثلاث دفعات ولم تكن دفـعة واحدة مع تعدد الجهات وربمـا يكون قد أستشهد ربع هذا العدد بل أن القوات الأكـثر عدداً التي عبرت مع موسى (١٨ألف جندي) كانت لازالت مـستعدة للزحف فى الأراض الاوربية الـواسعه وصولا إلى القسطـيطينة ثم دمشـق وهكذا كانت تتم العـملية الكبرى مـن وراء المد الإسلامي الواسع ومع ذلك فقد كان توقف اتمام الـفتح والغزو لاوروبا رغم أن كل الظروف كانت تـساعد على ذلـك وأن يعود القرار لـلخلافة الإسـلامية الأموية الـتي أضر قرارها بحركة المـد الإسلامي على المدى البعيد ، وكانـت عودة موسى وطارق من الأندلس دون التمكن مـن القضاء على جيوب المقاومة القوطـية لا سيما في الجزء الشمالي الغربي (جليقيه) ، وكذلك ضم المـناطق الجنوبية لفرنسا للإدارة الأندلسية انضمـاما تاما ، كـل ذلك كان سببـا في ضياع الأندلـس وظهور حركـة الاسترداد والسبب القوي والمباشر في أحداث مستقبلية في معركة بلاط الشهداء حيث اتاحت الفترة بـين عودة موسى وطارق إلى بلاد الـشام والتحرك القـوى أيام عبدالرحمن الغافقي (١١٤هـ/ ٩٥هـ) والعودة ومايقرب من تسعة عشر عاما أتاحت لبلاد الفرنجة وباقي أوروبا أن تحس وتدرك مدى الخطر الذي يتهددها من جراء الوجود الإسلامي

في شبه جزيـرة ابيريا وقضاءه على دولـة القوط في أقل من أربعة أعـوام والتحرك خلف جبال البرانس عملا لضمها للإسلام ثم البقية تأتي لكل البلاد الأوربية.

كل هذه المسببات كانـت دافعا قويا لـكي تتحرك دولـة الفرنجة وماجـاورها من أقطار أوروبية لكي تكون على أهبة الاستعداد لمواجهة الزحف الإسلامي القادم من الجنوب ،يرفع راية القـرآن انقاذاً لهذه الشعوب من عبودية الاقـطاع وتمكن النبلاء وسيطرة رجال الدين وصكـوك الغفران وحالة التخلف التي تعيـشها هذه الشعوب في تلك الأونة من القرن الثامن الميلادي .

لكن من الأخطاء القاتلة ماتكون فيه نهاية أمة ودمار شعب وخراب أرض وهدم ديار وطرد وتشريد ملايين المسلـمين من ديارهم وأوطانهم . إن الاحداث لاتدرس بالتـمنى والاحلام ولكـن بالحقائق الـتاريخية والـوقائع الرسمـية التي لا يخـتلف المؤرخون في تحليلهـا ودراستها وتقول أن الكتابة التاريخية لا يمـكن أن تعتمد على لفظ «لو»»س لكن المؤكد أن صورة التـاريخ الإسلامي في الأندلس وأوروبا كانت ستكون شيئا آخر لو لم يتم استـدعاء وموسى وطارق معا ولو ان أحدهما ترك فى الأندلس لـسارت الفتوحات كـما كانت. وإذا كان لـنا ان نحبس فى صـدور نارنه اسف او اسي علي قـرار اعادتهما لأن مايترتـب عليه من أحداث مستـقبلية ولادار من قتـال شديد علـى ارض بلاط الشهداء كـان له ابعاد بعـيدة تعود إلـى عشرات السنين عندما استعدت بلاد الفرنجة ومن خلفها وتدعمها قوى البابوية وقوات اوربا بعد أن آفاقت على طرق لمسلمين لديارهم لتـكون مستعده تمام الاستعداد لمقابلة كل قوات إسلامية تعبر إلى أراض فرنسا وتجبرها على العودة إلى قواعدها فى الاندلس وسوف تري فـى الصفحـات القادمة كـم قائد إسلامـى اتشهد فـى تلك الاقالـيم الجنوبية فى فرنسا وبعد عبور جبال البرانس بمسافات قليلة وهكذا اتاح قرار استدعاء قاده الفتـح (طارق وموسى) فرصه كبـرى لكى تعيد فرنـسا حساباتها وتـقف بجزم وقوه ضد الـتحرك الإسلامى وتـوقف حركه المد الإسلامـى عند أبواب بوتـيه عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م. لكى تضع نهاية للتوسعات الإسلامية القوية وتحول دون تقدم آية قوات إسلامية أخرى إلى مدى يصل إلى بلاط الشهداد نهائيا.



الفتح والجهاد وراء البرت
خليج بسكاية
خليج ليون
البحر المتوسط

الفصل الثالث

الفتوحات الإسلامية فى فرنسا قبل بلاط الشهداء

الفتوحات الإسلاميه فى فرنسا قبل بلاط الشهداء

بلغت قوة المد الإسلامي فى جنوب فرنسا وخلف جبال البرت خلال عهد الولاة مبلغا عاليا وحازت سيقا كبيرا كان للمسلمين فيه نشاط واضح وبصورة رئيسية وراء جبال البرت ، وهذا يشير إلى جهود المسلمين المتواصله فى محاولات الفتح والاستقرار والظاهر أنه لولا رؤيه الولاة استتباب الفتح في الجزيرة الأندلسية واستقرار الأمور وتوطيد دعائم الحكم الإسلامى لما اقدموا كثيرا علـى تقل ميدان الـدعوة والغزو وراء جبال البرت ومن هنا تدرك أن مشروع غزو فرنسا واكتساح اوربا لتنشر رساله الإسلام بهـا لم يمت او ينتـهى بنهاية رحـيل موسى بن نـصير عن الأندلـس لكن المشروع ظهـر مرة أخرى وهكذا لم يتـوقف الفتح الإسلامى وراء جـبال البرت إذ بذل عبد العزيـز بن موسي بن نصير (٩٥ـ ٩٧هـ / ٧١٤ـ ٧١٦م) جهودا واضحة بالسير بالراية الإسـلامية إلى تلك المناطق جنوب فرنسا وانـتقال الغزو والدعوة إلى الأراضي الكـبيرة دعمـا لسياسة الاسـتقرار في هذه الـبلاد . إذ أرسل بعـضا من قوادةفي حملات عسكـرية إلى طركونه في الشمال حتى برشـلونه عاصمة (ارغون وينسيلونا عاصمة الباسك في جبال البـرنيه وبذلك تكون عملية الفتح في الأندلس قد استكملت نهائيا في عهد عبد العزيز بن موسى بن نصير (٩٥ ـ٩٧هـ/ ٧١٤ـ٧١٦م)

بحيث لم يبقي خارج نطاق السيادة الإسلامية سوى بعض الجيوب الصغيرة كان من السهل تصفيتها لو أتخذت الأمور مسارهـا الطبيعى وهذا يعنى أن جيوبا صغيره في هذه المناطق كان الولاه يفتتحونها او فلولا تتجمع للمقاومة وتتحصن فى مناطق نائيه فى المناطق الشمالية الغربية

كذلـك فإن أيوب بـن حبيـب اللخمـي (رجب ٩٧ / ذي الحـجه ٩٧هـ) وإلى الاندلس الذي خـلف عبدالعزيـز بن موسى قد وجه جـهودة نحو الشمال لـيطهر البلاد من آيه مقاومه أو تجمع فلول رغم قصر مده حكمه.

وجاء السمع بـن مالك الخولانـى (رمضان ١٠٠/ذى الحجه ١٠٢هـ.٧١٩م) إلى مركز عمله فى قرطبه وهو مندفع بالحماس للعمل وراء جبال البرت والفتح فى فرنسا ، كان له نشـاط واسعا جنوبى فرنسا وإن كانت بعـض المصادر تذكر أن الحر

بن عبدالرحمن الثقفى(٩٧-١٠٠هـ/ ٧١٦-٧١٩م) وهو الوإلى الذى سبق السمح بن مالك الخولاني قد قام بالغزو وفي أراضى فرنسا وماوراء البرانس ويذكر أيضا «شكيب أرسلان» أنه غزا جنوب فرنسا حتى اربوبه عاصمة فرنسا الربوينه وظل بغزو هذه الارجاء من فرنسا الجنوبية حتى أضطر سكانها إلى طلب الصلح والإعتراف بالسياده الإسلامية على تلك المناطق التي بدات تنطوى تحت لواء الرايه الإسلامية فى جنوب فرنسا واذا كانت الغزوات الحربية لعبدالرحمن الثفقي هى بداية الزحف الإسلامى في أرض فرنسا بعد عهد موسى بن نصير وعلى الرغم من ان المصادر العربيه لم تشر إلى اعمال الحر الثقفى الأان المؤرخ الفرنس (كوديره) قد اشار إلى الفتوحات الحربية لعبدالرحمن بن الثفقى فى ارض فرنسا وتصميمه على ضم المناطق إلى دولة الإسلام الكبرى.

لكن الفتوحات الإسلامية فى فرنسا قد شهدت بعدا جديدا يتولى السمح بن مالك الخولانى ولاية الأندلس فقد نشطت حركة المد الإسلامى لنشر رسالة الإسلام وتعميق أثرها فى نفوس الشعوب التى تسكن فيما وراء جبال البرانس ذلك لأن السمح بن مالك الخولانى كان رجلا قوى الإيمان راسخ العقيدة عاملا ماوسعه الجهد للجهاد فى سبيل الله وكان جم النشاط دائب الحركة والإستعداد لأنه بادر بالتحرك شمالا عبر الاراضى الفرنسية وحول الحماس فى نفوس الجند إلى جهاد وأرد تحقيق حلم موسى بن نصير في فتح تلك الأقاليم والوصول إلى دمشق شرقا وقد بذل نشاطا واسعا في جنوب فرنسا وانفق جهودا كبيرة فى غالة Gouleحتى طرسوكنه Tarascanوطولوشه Toulouse عاصمة اقباطتيه Aquitania وقد قام السمح الخولانى فعلا بغزو سبتمانيه في جنوب فرنسا وبها سبع مدن كبرى وكانت عاصمة اربونه وحدثت معارك عديدة هناك بعد أن انعطف نحو الغرب حيث نهر الجاردن مستوليا في طريقه على مايقابله من مدن حتى وصل إلى تولوز فحاصرها واستولى عليها ودارت معركة بين المسلمين وبين دوق اقباطانيه واشتد القتال ويبدو أن هذا النشاط العسكري الكبير الذي قام به السمح

الخولي قد أفزع أهل اكواتياته فنهض دوقها وسار بجيشية حتى لقى السمح ودارت معركة عنيفة على مقربة في طولوشة Touilounse واستشهد كثرة من المسلمين منهم الوالي السمح بن مالك الخولاني في يوم الترويه أو وقفة عرفه عام ١٠٢هـ/ ١٠ يونيو ٧٢١م) وقد ذكر ابن بشكوال في كتابه نفح الطيب ان السمح استشهد بأرض الفرنجة يوم التروية سنة اثنين ومائة هجرية وذلك بعد أن أشتد القتال ولكن الجند المسلم الذي عرف بقوة إيمانه ورسوخ عقيدته قاتل وثابر وبذل الدم من أجل نشر العقيدة الإسلامية وكتب الله الشهادة لقائد جند المسلمين ، وقد ذكرت مصادر أخرى أن السمح الخولاني استشهد بأرض الفرنجة في ذي الحجة اثنين ومائةكما في نص ابن بشكوال السابق وآخرين وتعنى كلمة الفرنجة عموما عند المؤرخين والكتاب الأندلسيين سكان بلدان ماوراء البرت (الأرض الكبيرة) لاسيما فرنسا وتوجد في جنوب فرنسا مدينة اسمها قريب في طرسونه وقد كانت طرسونه قاعدة من قواعد شمال الجزيرة الأندلسية وهي عاصمة كوروه تطيله Tudela وربما كانت اربونه تابعه لطربونه اداريا .

ولم يستطع الجيش الإسلامي العودة إلى قواعدة بالأندلس إلا بفضل العناية الإلهيه وبفضل أحد كبار جنده هو عبد الرحمن الغافقي . وكان عهد السمح ذو أهمية كبرى في الجهاد في سبيل الله في أرض فرنسا إذ أنه في عهده بدأت حركة الفتوح تأخذ وضع الإستقراء للجنود المقاتلة والحاميات في أرض غاليه وأصبحت أربونه قاعدة أماميه لإتمام الغزو الإسلامي في تلك البلاد واتخاذها مركز لتجميع القوى الإسلامية للإنطلاق منها لفتح كل فرنسا .

وبذلك ضمنت مقاطعه سيتمانيه Septimania جنوب شرق فرنسا خلف جبال البرت إلى الولاية الإسلامية فى الأندلس وكانت إدارة مستقله بشئونها لكن تخضع للحكم الإسلامى فى الأندلس وكانت مقاطعة تضم سبع مدن كبرى منها اربونه وقرقشونه وكانت سيتمانيه هذه أول ماوصلها مد الجهاد الإسلامى منذ أيام السمح بن مالك الخولانى الذى أشرف على قيام حكومه إسلاميه فيها نظم احوالها فاتخذ

من مدينة أربونه Narbonne عاصمه لها ويشير هذا إلى أن المسلمين افتتحوا منذ هذا الوقت المبكر لعهد الولاه كل هذه الأراضي الفرنسية مابين أربونه في الجنوب متصلا بالبرت والأندلس على طول الشاطىء الشرقى وغدت منطقة إسلامية ضمن هذه الحكومة المحلية التي اتخذت عاصمتها أربونه قاعده الجهاد وراء البرت وكانت موقعة طلوشه هي أول محاولة جدية لاختراق البرنة إلى أوربا حيث طبعت هذه المرحله بطابع جهادى خاص تستطيع أن تطلق عليه سنوات المد الإسلامى لأوروبا فقد كان اشتشهاد السمح الخولاني نقطة ارتكاز وانتشار فى تلك الأقاليم فى ذلك الوقت وبناء إداره عليه وبعد استشهاد السمح بن مالك الخولانى تولى قيادة الجند الإسلامى في الأندلس عنبسه بن سحيم الكلبى (١٠٣ هـ/ ٧٢٣م) وقد كانت البلاد فى فوضى بعد استشهاد السمح واشتد النزاع والصراع بين العصبيات العربيه التي بدا يستفحل أمرها بالأندلس وقد كانت مهمته دقيقه إلى حد ما فقد جاء إلى قرطبه وعرب الأندلس خارجين من هزيمة قاسية وهى الأولى فى تاريخهم العسكرى الأوربي منذ أن وطئت أقدامهم أرض القاره الاوربيه عام ٩٢هـ/ ٧١١ قد جاء عنبسه إلى قرطبه والمسلمون فى البلاد خارجين من معركه قتل فيها قائدهم السمح خارجين من الخولانى) وهو اول قائد مسلم يقتل فى معركه حربيه مع القوات الأوربيه شمال جبال البرانس وهو أول موقف بواجه المدن الإسلامى ويقف الفرنجه يقاتلون المسلمين بهذه القوه حيث كانت هذه الظاهرة هى الأولى فى تاريخهم العسكرى الأوربى حيث تركت تلك الموقعه الحربية أثارها الواضحة على مجريات الأحداث فى ضروره مقابلة التحدى الأوربى لقد حدثت هذه المعركه طولوشه (تولوز) فى فترة حكم الخليفه الراشد الخامس عمربن عبد العزيز بن مروان وفى فتره كان طبعها نشر الإسلام وإرسال الدعاه لتفقيه الناس وشرح تعاليم الإسلام .

ومن ذلك دور السمح في نشر الإسلام وإستشهادة شمال جبال البرانس لنشر راية الإسلام ومن هنا فإن هذه المعركة تعطى الدليل القوي على أن المد الإسلامي لم يكن إلا حركة دعوة للإسلام ولم تكن حركة غزو وسيطرة وأسلاب وغنائم وسيطرة سياسية، وإلا لما أقدم المسلمون على الزحف لنشر الإسلام في جنوب

فرنسا. وقدم عنبسه بن سحيم الكلبى (صفر ١٠٣ـ شعبان ١٠٧هـ) فقام عنبسه بنشاط جهادى كبير وراء البرت واستمر في تقدمه نحو الشمال ، والشمال الشرقي وقد كان عنبسه واحداً من الولاه الذين قاموا بجهد بارز في الفتح وراء جبال البرت وذلك دعما للتفوق الإسلامى فى الجزيرة الأندلسيه ونقل ميدان الغزو إلى الشمال وربما يكون العمل وراء جبال البرت يقصد قطع دابر الفلول الفرنجية القوطيه التي ربما كانت تسلل إلى شمال الأندلس فى أي معبر فى معابر البرت ومن هنا سلك عنبسة مسلك السمح الذى سلكه من قبل وهو مواصلة الزحف والغزو فى أرض الفرنجه لضم هذه الأراضى إلى ديار الإسلام لكى تصبح فرنسا الدوله الأوربيه الثانية الكبرى فى أوربا بعد الأندلس ففكر في تدعيم خط الدفاع عن أريونه عاصمة أقليم سيتماتيه وكانت الامور قد استقرت فى الأندلس فعجل بالنهوض لغزو فرنسا.

وأنه غير واضح قطعا متى بدأ عنبسه جهادة وراء البرت وكم استغرق وهل خرج لذلك الجهاد مرة واحده ام اكثر من مره وهل قاد كل هذه الحملات بنفسه أو سبق إليه أحد بواسطه القوات الإسلاميه المرابطه فى ثغرر أريونه. ولكنه لم يسر فى الإتجاه الذى سار فيه السمح بن مالك من قبل بل سار على الساحل فصعد بقواته مع نهر رانه حتى أدرك قرقشونه فحاصرها وشدد عليها الحصار حتى نزل أهلها على شروطه ثم استولى عنبسه بعد ذلك على مدينة نيمه، ثم واصل زحفه يحدوة الأمل فى الإستيلاء على كل الأراضى الفرنسيه وضمها إلى الإسلام شأنها شأن الأندلس والمغرب ومصر والشام وفارس وكل الأقاليم التي تخضع للدولة الإسلامية ثم الإتجاه شرقا وشمالا فى فرنسا لفتح بافى أجزاء اوربا واستمر فى زحفه الإسلامى حتى أدرك نهر ردنه وذلك دون أن يلقي أيه مقاومة تذكر تعترضه فى طريقه من الفرنجة وصعد مع النهر حتى وصل إلى نهر «ساوان»، واستولى على (اوتون) ووصل إلى حوض الرون وفتح اقليم بروفانس واستمر في سيره شمالا مستوليا على ليون حتى وصل إلى (اوتان) فى أعالى نهر الرون وكان عنبسه الكليبى قد دخل اقليم يورجونيا، ويذهب بعض المؤرخين إلى أنه استولى على

مدينه أوزة ووصلت الموجة الإسلامية الزاحفة في الاراضى الفرنسية حتى مدينة فاكون وشالون وهناك تفرعت الحملة إلى فرعين سارت الأولى نحو ديجون وبتر ولانجر فاستولت عليها وسارت الحملة الثانية فى اتجاها صوب (اوتون) مرة اخرى ولم يقف تيار هذه الحملة التى خرجت غاريه بالقرب من بلده سانس Sens على بعد ثلاثين كيلو متر جنوب باريس الحالية وكان هذا أبعد ماوصلت إليه جيوش إسلاميه مجاهده عند مدينة سانس. ومن هنا فإن قليلون فى عالما العربى والإسلامى المعاصر الذين يعرفون أن الإسلام قد توطدت دعائمه ورسخ بنيانه وزادت رقعته وأنه وصل في مداه الواسع إلى أرض فرنسا وعلى بعد ثلاثين كيلو متر من باريس عاصمة فرنسا الحالية وأن المسلمين قد يعرفون أن أجدادهم استقروا فى فرنسا مايقرب من قرنين فى الزمان.

وهكذا وصلت القوات الإسلامية بقيادة عنبسه الكلبى إلى قلب فرنسا وغزا حوض الرون كله ونخطت القوات الإسلامية نهر اللوار وأصبحت على مسافة قصيرة جدا من نهر السين نفسه وكان عنبسه من الولاه الذين استشهدوا فى ميدان الغزو والفتح حيث كان من أنشط القادة وله دور واضح فى الفتح بعد أن استمر فى تقدمه حتى وصل إلى سانس. ويذكر ابن خلدون وغيرة فى المصادر العربيه أنه تقدم بعيدا فى الشمال داخل الأرضى الفرنسية في حين ذكر شكيب أرسلان أنه وصل الى مدينهساينس.

لكن هناك أمور داخلية فى الأندلس فرضت على عنبسة العوده إلى الأندلس دون انى يقيم قواعد دائمه فى هذه المناطق وكانت هذه الاسباب قد حدث من نشاطه هناك ولولا العودة إلى الأندلس لتغيرت الأمور أكثر ولسار المد الإسلامى إلى أبعاد أكثر عمقا فى الأراضى الفرنسيه. وهكذا عاد عنبسه إلى الأندلس إلا أنه استشهد فى الطريق قبل أن يصل إلى الأندلس وذلك فى شهر شعبان عام سبع ومائة هجرية ٧٢٦م فى معركه مع الفرنجه قبل عبوره معابر جبال البرت فى كمين نصب له حيث تكاثر عليه جند الفرنجة قبل عبورة معابر جبال البرت فأحاطت به وبمن معه من القادة المسلمين وهكذا استشهد عنبسه فى هذه المعركة وقد اختلفت

المصادر فى تعين مـكان هذه المعركة إلا إنه لاشك قد كانت فى شـمال شرق فرنسا وقبل أن يعبر جبال البرت عائداً إلى الأندلس وهكذا اغتالت عصابات الطريق القائد المسلم الـعائد من الغزو في فـرنسا وهو ثاني قائـد بعد السمح بن مـالك الخولانى يستشهد شمال جبال البرت في سبيل نشر الإسلام.

وقد مرت فترة من الزمن توقف فيها أى نشاط إسلامي ذلك لأنه مضت سنوات قليله لا نملك فيها اخبارا عن نشاط جـهادى جرى خلف جبال البرت فى سنه مائه واحدى عشر. وقـد آلت قيادة الجيش بـعد استشهاد عنـبسه إلى غدرة بن عـبدالله الفهرى الذى رشحه أهل الأندلس للولاية لأنه نـائب عنبسة على الجيش ولعله كان ساعده في العمل الجهـادي بل كان في قلب المعركة التي استشهد فـيها عنبسه وكان اختبارة لمواصلة الغزو خلف جبال البرت وهناك اقول كثيره تذكر ان عنبسه لم يكن يريد مـن وراء هذه الغزوه الإسلاميـة الطويلة الزحـف والاستقرار فى فرنـسا وإنما كانت حمـلته إلى فرنسا قصـد من ورائها التمهيـد للحملات الإسلامية الـتى تأتى بعدها واكتـشاف الأماكن الضعيفة فى تحـصينات العدو وكان المسلمـين قد استولوا على اقـليم سيتـماتيه وعلـى عاصمتـه أربونه واستقـروا واتخذوها قاعـدة ومركز العلميات الحربيـة المتقدمة من شمال جبال البرت وكان عنبســه قد آخذ بثأر السمح واستولى علـى مدينه فرقوشه ولكن عنـبسه لم يكن حذرا فى اندفـاعه فى سهول فرنسا ولذا فإن الأعداء قطعوا عليه خط العودة واشـتبكوا معه في معركة عنيفة بعد أن كمـنوا له بـين الجبال فى المـمرات الفـاصلة بـين فرنسا والأنـدلس وذلك عـند محاولته العودة إلى الاندلس ووقف المد الإسلامى فى فرنسا عند الحد مؤقتا/

ويجب أن ننظر إلى هذه الحمله الجرئية إلى قادها عنبسه الكلبى حتى وصل إلى مسافه ثلاثين كيلو متر بالقرب من باريس عاصمه فرنسا الحاليه على انها كانت غزوة تشبه غزوة عقبه بن نافع الفهرى فى اجـتيار بلاد المغرب بسرعه مذهلة وصولاً إلى المحيط الأطلسي إنهـا كانت غارة بعيده المدى تشق البلاد الفرنـسية من الجنوب الى الشمال وتطلع المسلـمين على أحوالها وتعد خططها لما بعدها ولـو استقر عنبسه فى ليون مثـلا اه فى احدى مراكز فرنـسا الوسطى لكـان يمكن القول انه فـتح جنوب

فرنسا وشرقه كله بل كاد يفتحها كلها اما وقد عاد أدراجه لظروف الأندلس الداخلية بعد ان قطع نحو أكثر من ألف ميل شمال قرطبه فإن حملته الرائعه أوضحت الرؤية الإسلامية أمام المسلمين عن حاله هذه البلاد وما هو الضعف الذي أصابها والانهيار الداخلي. على إنه يمكن القول أن عنبسه بن كليم الكلبى ينفرد بين الفاتحين المسلمين بهذا الفخر بوصوله بالراية الإسلامية إلى قلب أوروبا ليستولى على أقاليم واسعة لم يسبقه إليها فاتح إسلامى من قبله ومن بعده وأنها هى المرة الأولى والأخيرة فى تاريخ الدولة الإسلامية التي تصل فيها قواتها إلى بعد لايزيد عن ثلاثين كيلو متر جنوب باريس الحاليه وكان مصير فرنسا قد استقر في أيدي المسلمين لولا الاضطرابات الداخلية فى الأندلس.

وتولى بعد استشهاد عنبسه الكلبى قيادة القوات العائدة جنوبا وكذلك امور الأندلس عذره بن عبد الله القهرى) وتذكر الروايات التاريخية الأوربية والإسلامية أن المسلمين قاموا بأعمال حربية جريئة بعد استشهاد عنبسه مباشرة في أرض فرنسا ونهض قادة المسلمين وعادوا إلى حوض الرون وعزوا بلاد (الالبين واقليم روبرج وصفودن) ولیقلیه، وهذه الحملات كما ذكرتها الروايات على جانب كبير من الصحه ذلك أن القائد المسلم المجاهد عبدالرحمن الغافقي حين قام وعبر جبال البرانس وجد المسلمين الذين يعيشون فى أرض فرنسا فى حالة طيبة وروحهم المعنوية عالية ولو أن تقدمهم وقف عند الأعمال التي قام بها عنبسه الكلبى وهو الرجوع إلى الأندلس لما استطاع عبدلرحمن الغافقي أن يقوم بهذ العمل الإسلامى والحربي الكبير بالفتح فى فرنسا

وهكذا كانت الأعمال التى قام بها السمح بن مالك الخولانى ومن بعده عنبسه الكلبى ومن سبقهم من الولاه ومن جاء بعدهم حتى تولى عبدالرحمن الغافقي ماهي إلا مقدمات للعمل الذي سيقوم به الغافقي وهو الحشد والإنطلاق لغزو اوروبا فكانت بلاط الشهداء.

الفصل الرابع

مقدمات معركة بلاط الشهداء

بولتيه *Poitiers*

مقدمات معركه بلاط الشهداء (يواتيه Poitiers)

كان استدعاء موسى بن نصير إلى دمشق وقد اجتاز جبال البرت الفاصله بين أسبانيا وبين بلاد الغال La Gaule التي عرفت حينذاك بحركة الفتح التي كان القائد العربى مصمما أن يمضى بها وراء الجبال وسواء أراد تحقيق مشروعه العسكرى الكبير في اجتياح القارة الأوربية والوصول إلى ضفاف البسفور حيث القسطنطينية أم إنه أراد تأمين الحدود الدفاعية لاماراته الجديدة فى الجنوب الغربي لاوربا فإن هذا القائد بما يتمتع به من عبقرية عسكرية كان مستمرا فى تقدمه وانتصاراته حتى دعوة الخلافه له بالتوقف ، لكن غياب القيادات العسكرية صانعه الانتصارات فى أسبانيا لم يكن ليؤدى إلى تجميد الطموح الإسلامى وراء جبال البرنيه فى قلب مملكة الفرنجة المجاورة ولاسيما أن الظروف كانت ملائمة للمضي فى المخطط التوسعى ولم يكن من سبب يدعو إلى هذا الحد كذلك فإن ممارسات القواد فى الأندلس لم تكن نابعة من قرارات الخليفه بقدر ما أرتبطت بحتميات الواقع الجديد الذى فرضته الإستراتيجيه العسكرية للموقف الماثل أمام قاده البلاد وربما لا تتفق مع أفكار الخليفة الأموى فى عاصمته البعيدة ولاسيما لواتيحت الفرصه لموسى بن نصير ان يتابع عملياتة العسكرية بعد وصوله إلى إقليم اراغون فى الشمال الشرقي لأسبانيا هل كانت فرنسا ستصمد أمام جيوشة أم إنها تلاقى مصير دولة القوط لكن النتيجة المتوقعه كانت ستكون بالايجاب لاسيما أن أوضاع تلك الدولة المجاورة فى تلك الفترة لم تكن تختلف كثيرا فى أحوالها عن أسبانيا القوطية عشيه الفتح الإسلامى لها.

ذلك لان الفترة السابقة لفتح الأندلس بقليل كانت بلاد الفرنجة تشهد ضعف سلطة الملوك وازياد قوه النبلاء فى الدولة واتساع سلطة الكنسيه وكثرة ثرواتها وإنغماسها فى السياسه الدنيوية وتدهور السلطه العامه واندلاع الحروب الداخلية والمنازعات الداخلية التى عدت قاعده عامه فى البلاد ثم اصبح تاريخ الفرنجة بعد ذلك حتى ظهور شارل مارتل عام ٧١٤م يمثل تاريخ النزاع بين العائلات فى (الستريا واستراسيا) للفوز بمركز رئيس البلاط وكان الغاليون أو الفرنجة سكان تلك

المنطقة الواسعه الممتده بين اللوار غربا ومن المانيا الحاليه شرقا هم فى الاصل كالقوط الغربيين أحد الموجات الجرمانيه من الأسره الميروفنجيه التى اسست حكم البلاد منذ القرن الخامس الميلادى وقد جرى تقسيم تلك الدولة إلى ثلاثة أقسام رئيسيه هي اواستراليا Austrasia نوستريا Naustria برغنديه Bargurdia عدا الاقطاعات بين الصغيره الأخرى وكثيرا ماجرى صراع بين الأخوة بينما انهارت سلطه الملوك تماما لكنه في أواخر القرن السابع الميلادى كانت اماره اوستراسياس قد حازت الغلبه فى النهايه من ذلك الصراع وكان ذلك يرجع فى الحقيقة الى رئيس بلاطها الذى كان بوسعه ان يضم من الاتباع مايزيد على مالدى منافسيه فى تستريا ويرغنديه وكانت فرنسا فى التاريخ الرومانى تسمي(غاله) وبعد سقوط الدوله الرومانيه تنازعت فرنسا قوى مختلفه فاصبحت سيتمانية تابعه للقوط الغربيين وأصبح الأقليم الذى يحده نهر اللوار شمالا إلى جبال البرانس جنوبا دوقيه مستقله هي اكتيانيا إلى جانب اقليم بروفانس فى شرق سيتمانيه واقليم يرجانديا بشرق نهر الرون ، أما شمال نهر اللوار حتى المانيا الحالية فكانت مملكة تسمى مملكة الفرنجة الميروفنجية وقد كان الفرنجة الذين غزوا غاله في أواخر القرن الخامس الميلادي من أعظم القبائل الجرمانية قوه وأكثرها شهرة فى العصور الوسطى وكانت المملكة التي أقاموها هناك المملكة الجرمانيه الوحيدة القوية التي كتب لها البقاء فى الغرب الأوروبي واعتنق الفرنجة المسيحية الكاثوليكيه وأقاموا حلفا مع الكنسيه الغربية واسهموا كثيرا في صنع التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى لاسيما في عهد شارل مارتل وابنه بنين القصير وحفيده شارلمان حين انتقلت السلطة فى منتصف القرن الثامن الميلادي إلى أسرة جديدة في شكل رؤساء البلاد فى اواسترليسا ، ذلك انه في الوقت الذى كانت الدولة الميروفنجية تنحدر إلى الزوال وتعيش الحقبة الأخيرة في عمرها ويتعاظم نفوذ رؤساء البلاد (شارل مارتل) وتشتد مطامعهم للانفراد بالسلطة فى دولة الفرنجة عبر المسلمون إلى شبه الجزيرة الليبيرية فى اوائل القرن الثامن الميلادى ليقتحموا اسبانيا وليقضوا على مملكة القوط الغربيين فى ظل ظروف الصراع والإختلاف التى مرت بها دولة الفرنجة كان المسلمين بقيادة موسى بن نصير يطرقون جبال البرت ويعبرونها إلى بلاد الفرنجة ويتحينون للوثوب عليها

ومن المؤكد أى قرار التوقف العسكرى اتاح لدولة الفرنجة أن تعى أبعاد الطموح الإسلامى فى غزو القارة الاوربية وأن تدرس كافة الإحتمالات للمواجهة الحتمية مع هذة الحشود الإسلامية المنتصرة ، ولإحساس الفرنجة بالخطر الإسلامى فإنه لم يمضى عام واحد على عودة موسى بن نصير إلى المشرق (٩٥/ ٧١٤م) حتى قام في واسترليا أكبر الأقاليم في المملكة الفرنجية من أسرة هرستال Herstal بتوحيد أجزاء الدولة المبعثرة ، فبعد أن كان يسمى محافظ القصر Mairesdu palais اراد ان يتخد له لقب ملك وسارع إلى إرسال سفراءه إلى روما يسأل البابا زكريا اليس من حق الشخص الذي بيده السلطة الحقيقية أن يكون له لقب ملك ؛ فأجاب البابا من حق الرجل الذي بيدة السلطة الحقيقية أن يكون له لقب ملك وهكذا بدعم من الكنيسة أمراء الإقطاع استطاع محافظ القصر أن يكون هو الملك والرجل الناقد والشخصية الاقوى فى بلاد الفرنجه، فأجتمع على أثر ذلك مجلس النبلاء وقرر أن يمنح بُيان لقد ملك وأن يرسمه القديس يونيفاس ، لهذا المنصب وأصبح ملكا جديدا للفرنجه ، وهكذا قدر لبيان الملك الجديد أن يصنع سياسة العلاقات العربية الفرنجيةوذلك لمجابهة المد الإسلامي الذي بلغ مداه في مطلع القرن الثامن الميلادي . وإذا كان بيبان بعد موته عام ٧١٤م قد ترك فراغا في السلطة بسبب اختيار حفيده لوراثة الملك لاسيما أن «بيبين» استمر يحكم البلاد مدة تقرب من سبعة وعشرين عاما (٦٨٨-٧١٤م) ثم خلفه أبنه غير الشرعي الذي عزف فيما بعد باسم شارل مارتل أو المطرقة Martel بعد صراع مرير وحروب أهلية استمرت سنوات في بداية عهده لكنه تمكن من حسم الأزمة لمصلحته وأصبح الرجل القوي في مملكة الفرنجة حيث صارت له السلطة المطلقة على كل ولاياتها بعد أن أخضع اوسترليا وتستريا خضوع تماما . وقد كان توليه السلطة نقطة تحول خطيرة في الحروب المقدسة التي خاضتها أوروبا ضد اعدائها المسلمين واستمد جانب كبير من شهرة شارل مارتل إلى ماحققه من نجاح تجاه المسلمين في جنوب المملكة الفرنجية . اضافة إلى أنه أعاد حدود المملكة الفرنجية إلى ماكانت عليه قديما واهتم بنشر المسيحية بين قبائل المانيا الوثنية ونشر القانون وضرب بيد من حديد على كل محاولات الفتنة الداخلية

ورتب الأمور في الاقاليم الجنوبية لاسيما في برجنديا ، وأخضع دوق اكوتين ووجه شارل مارتل جانبا هاما من جهوده لجنوب المملكة المجاورة للأندلس .

وهكذا فإن مجيء شارل إلى السلطة في تلك الظروف كان حدثا غير عادي في تاريخ العلاقات بين اسبانيا الإسلامية وبين الدولة الفرنجية وفي ذلك الوقت كانت قرطبه عاصمة الأمويين ماضية في بناء عظمتها ورقيها كأحد عواصم الدنيا الهامة في ذلك الوقت وأيضا قد تجاوزت الدولتان دولة الفرنجة الكارولنجين ودولة الأمويين الأندلسية على جانبي جبال البرئية (البرانس) بما كانت تمثله كل منهما من زعامة سياسية وعسكرية ودينية وماكانت تنفذه كل منها بمسؤلياتهما تجاه شعبها وأمنها وقيمها الدينية والروحية وكان لابد من حدوث احتكاك بينها وسواء جرى ذلك الاحتكاك عنيفا واتخذ اسلوب الصراع الدموي أو جرى في اطار سلمي دبلوماسي أو اطار حضاري وفكري أو اطار اقتصادي مادي وبعبارة أخرى كان لابد أن يحدث احتكاك بين الدولتين وتجرى صلات بينهما بحكم تجاوزهما من ناحية واختلاف قيمهما الدينية والسياسية من ناحية أخرى ولهذا جرى الصراع بينهما رهيبا وعنيفا تمثل في صورة معركة بلاط الشهداء . ذلك لأنه لولا وجود شارل على رأس السلطة لما كان من المستطاع مجيء ببيان وابنه شارل . ذلك لأن عرب الأندلس لم توقف مسيرتهم قرارات الخلافة فضلا عن الطموح الإسلامي الكبير في اجتياز ذلك الحاجز الجبلي ذي الممرات الضيقة والتوغل في الأراضي الكبيرة Grande Lerre كان هو الهدف الأسمى حاملين قرآنهم ومقدمين عقيدتهم الإسلامية إلى تلك الشعوب الوثنية التي لم تكن قد تعمقت لديها العقيدة المسيحية لاسيما أن الغارة الإسلامية القوية والعنيفة التي قام بها عنبسة بن سحيم الكلبي في نواحي فرنسا كلها واستيلاؤه على أقليم بورجونيا ، الذي هو جزء من امبراطورية الفرنجة قد ألقى الرعب في معظم الدوقيات الجنوبية والوسطي وشعرت امبراطورية الفرنجة أنها أمام خطر داهم لابد من أن يكتسح امبراطورية الفرنجة كلها وبدأ واضحا أن الحملة القادمة ستكون حملة حاسمة في تقرير مصير الأمبراطورية المترامية الأطراف وهو أن المسلمين لابد لهم من أن يواصلوا فتح باقي أنحاء

امبراطورية الفرنجة ومواصلة الزحف نحو الشمال وهكذا كانت هذه الانتصارات الإسلامية العظيمة والزحف السريع والقوي لعنبسه الكلبي سببا في أن يتحالف أبناء الشمال الأوروبي تحت قيادة شارل مارتل وأن يتناسى الدوق اودو دوق اكوتياتيه عداءة القديم لشارل مارتل وأبيه الملك بتان وبدأ يعملان سويا بمناصرة بعضالجيوش الأوربية الأخرى لوقف المد الإسلامي الزاحف من الجنوب لإحتواء هذه الأقاليم في دولة الإسلام الكبرى وذلك بكل ماوصلت إليه أيديهما من وسائل الحرب وأسلحة مختلفة .

ولقد كان ظهور شارل مارتل كرجل قوي في مملكة الفرنجة خلفا لأبيه غير الشرعي يبيان في نفس العام الذي تحرك فيه السمح بن مالك الخولاني (١٠٠/ ٧٢٠م) .

وقد شهدت الجبهة الأندلسية الداخلية فترة من عدم الاستقرار السياسي ذلك لأن السياسة الداخلية لم تكن لتأخذ الطابع الإسلامي السليم ، ووقف تعاليم الشريعة الإسلامية الغراء حيث تغلبت العصبية القبلية العنيفة على تصرف هؤلاء الحكام تغلبت حيث صارت العلاقات بين الولاه العرب تشهد بعض الصراعات وكان عرب الأندلس ينتهزون الفرصة بين الحين والآخر لإقامة واحد منهم واليا عربي على الأندلس لكن فترة الولاية لم تكن تتجاوز إلا شهور قلائل ثم تعود الأمور إلى طبيعتها عندما ترسل الخلافة الأموية في دمشق «الحكومة المركزية» بتوليه والى جديد من قلبها .

لكن قادة الجيش وأهل الرأى والحل والعقد وأعيان البلاد في الأندلس استطاعوا هذه المرة أن يفرضوا لأول مرة فيما اختاروة واليا على الأندلس على الخلافة الأموية وأن تفرض الاختيار لأن هذا الاسم لم يكن غريبا أو غير مسموعا لدى رجال الخلافة في دمشق ، ذلك هو عبد الرحمن الغافقي الذي استطاع في السابق تغيير مجريات الأحداث وفي عام ٧٢٠م أن يتفادي الاحتلال العسكري بين القوتين المتصارعتين خلف جبال البرانس (المسلمون والفرنجة) وأن يعيد تنظيم الانسحاب وانقاذ البقية الباقية من الجيش الذي فقدقائدهوالتراجع بهم إلى ناربونه

ومنها إلى الأندلس ومن هنا تردد اسمه بعد استشهاد السمح ولم يمكث في الولاية إلا شهرا واحـدا لكن لم يمضـي زمن طويل حتى يـكون هذا الاسم أكثـر الأسماء شهرة في تاريخ العلاقات بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي وأن يرتبط اسمه بأشهر معركة في التاريخ الإسلامي ، كان لـها أثر كبير في حركة المد الإسلامي في القارة الأوروبية سلبيا وتأثيرا لسنوات قادمة.

الفصل الخامس

عبد الرحمن الغافقي
ومعركة بلاط الشهداء

عبد الرحمن الغافقي ومعركة بلاط الشهداء

(صفر ١١٢رمضان ١١٤هـ/ابريل ٧٣٠ـ اكتوبر ٧٣٢م)

كان ظهور عبد الرحمن الغافقي على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية في الأندلس له دور بارز في ميدان الغزو والفتح من أجل مد راية الإسلام في الأراضي الأوروبية ذلك القائد هو صاحب معركة بلاط الشهداء «بواتية» وكان عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي ينسب إلى قبيلة غافق اليمنية قد جاء إلى الإمارة (١١٢هـ/ ٧٣٠م) بعد أن كانت التيارات القبلية قد أبعدته نحو عشر سنوات عن المنصب الذي كان أكثر الولاه تأهيلا لحمل مسؤلياته والغافقي طراز آخر من القادة المسلمين تصفه الروايات بأنه على درجة عالية من الشجاعة والكفاءة العسكرية . فقد كان عبد الرحمن الغافقي من كبار جند الأندلس ومن أولئك الذين قضوا معظم أيامهم في الجهاد في أراضي فرنسا وقد سبق له أن تولى أمر الأندلس عام ١٠٢هـ/ ٧٢١م فلما عادت إليه الولاية للمرة الثانية في شهر صفر ١١٢هـ ابريل ٧٣٠م أى بعد عشر سنوات من الولاية الأولى فلم يكن له هدف إلا جمع القوات الإسلامية وإعداد العدة للغزو والفتح في الأراضي الكبيرة .

وكان من حسن الحظ أن الولاية وقيادة الفتوح قد صارت إليه فقد استطاع بحزمه وروحه العسكرية أن يضبط جنوده ويعيدهم إلى النظام من جديدحقا أنه لم يستطيع استعادة الخارجين إلى صفوفه ولكن على أية حال أوقف تيار تدهور الفتوح إلى غارات ولو أن عبد الرحمن الغافقي كان أقل عنفا عما كان عليه في الواقع لاستطاع أن يصل إلى نتائج أحسن ولكنه كان جنديا عنيفا بالغ الحماس لا يلتفت إلى سياسة أو كياسة مما قلل فرص النصر الكبير أمامه كما أنه كان من أبرز القادة الذين شهدتهم بلاد الأندلس لكنه لا جدال في أن المتتبع لحياة هذا القائد رغم ضآلة المعلومات لابد ان تستهويه تلك الشخصية المتصوفه في الجهاد والمترفعة عن الحساسيات الذاتية فمنذ أن سطع نجمه بعد انسحابه بفلول الجيش الإسلامي في عهد السمح بن مالك الخولاني حيث كان نائبا له في القيادة لم نسمع مايخدش تلك الصورة المثالية التي اتصف بها ، ووضعت له معركة بلاط الشهداء (بواتيه

Potiers) لساتها الأخيرة لكي يكون استشهاده مفخره كل الأجيال الإسلامية عبر تاريخها الطويل .

وكانت ولايته سنتان وثمانية أشهر حيث استشهد في رمضان ١١٤هـ/ اكتوبر ٧٣٢م. وكانت ولايته من أهم فترات عصر الولاه ، ولقد كان مشهود آله بحسن السيرة وبالحنكة والدراية بأمور القتال والادارة وأنه لولا هذه الصفات لما ولاة الجنود على أنفسهم في هذه الظروف الصعبة وكان امنيا عادلا نزيها فاستطاع بلياقته أن يسيطر على العناصر المتنازعة داخل البلاد .

وكانت ولايته الثانية على الأندلس من قبل والي المغرب ، عبيدة بن عبد الرحمن السلمي) ، وكان الغافقي بلا شك طراز أخر في قائمة الولاة المسلمين في الأندلس فهو الرجل الوحيد الذي بدأ قادرا حينذاك على تجميد الصراعات الحزبية والإنقسامات القبلية وتعبئة كل الأطراف في خدمة الدولة وكانت حملة عنبسة الكلبي قد أثارت مخاوف كل بلاد غرب أوروبا والبابوية فقد اقتحمها المسلمون اقتحاما وأوغلوا في داخل بلادها دون أن يستطيع أحد مقاومتهم ولقد شعر القائم بأمر مملكة الفرنجة إذ ذاك وهو شارل مارتل أو (كارل) بأنه لابد أن يقوم بعمل حاسم إذ عاد المسلمون مرة أخرى ، وبالفعل بدأ يستعد لهذا اللقاء فأخذ يجمع القوات والسلاح والزاد والمؤن وصالح امراء غندبه وأتفق مع حكام (بستمانيه ومع الدوق اودو للقيام بعمل مشترك لوقف تقدم المسلمين نهائيا في هذه الأراضى لاسيما أن دوق اكتابه قد استنجد بالفرنجة أولا وكان شارل مارتل قد رأى أن فتح المسلمين لدوقيه اكتيابته يهدد كيان الفرنجة إذ أن المسلمين دون شك سيتابعون فتوحاتهم حتى يقضوا على دولته وبذلك توحدت كل القوي الأوروبية جميعها لوقف زحف المسلمين وبذل شارل مارتل جهدا كبيرا في جمع الآلاف من الجنود الأقوياء للقاء المسلمين في معركة حاسمه يكون المنتصر فيها وعلى الجانب الآخر فإن الغافقي حسب المؤثرات تلك كان في انتظار هذه المناسبة بصبر وشوق وكان متشوقا لتكون فرنسا المحطة الثانية للمسلمين في أوروبا بعد الأندلس ، ولكن جهز حملته كما فعل سلفه عنبسه وكان لابد من تجهيز حمله ضخمه أكثر نظاما وترتيبا

واستعداد ليتم فتح هذه النواحي وقف بـرنامج مرسوم وحطه دكيه ولقد دلت على ذلك الاستعدادات السريعة لكثافة الجند في حملته الضخمة التي بادر إلى تشكيلها ومن ذلك فـإن الجيش الإسلامـي كان يزخر بـالحماسة والإيمـان كثير الـعدد وافر السلاح لكن من سوء حظ الغافقي أنه وقع شقاق في صفوف المسلمين المقيمين في الثغر الأعلـى للأندلس أى حوض الأبرو وكان له أثـر سيء على سير الفتـوح فيما بعد فإن الدوق اودو كان قـد حالف المسلمين، بل صاهرا قائداً بـربريا من قوادهم يسـمى «مونوسـه» كان مركزة فـي الناحيـة الغربـية من جبـال البرت ولم يـرضى المسـلمـون عن هـذه المصاهـرة لأن مونـوسه بـدأ يحـالف ويـيتقـرب إلى صـهره أودوا«اوديس ورجال اقطانيه وانتهي الأمر في النهاية إلى انفصاله عن المسلمين بمن معه من الرجـال وتدهب الروايات إلي أن عبد الـرحمن الغافقي الذي كـان يحكم أرجونة وينظم أعمال الجهاد اختلف مع (مـونوسه اختلافا شديدا وكان الغافقي رجلا عنيفا بالغ الاستقامة من طراز عقبة بن نافع ، فاشتد مع مونوسه زعيم البربر فزاده نفورا وانضمت اليه بعد ذلك جماعـات من البربر وحدث انقسام في المعسكر الإسلامي وكـان الإعداد العسكري لـه الأولوية في خطـته عندما آلت إلـيه الأمور ففي أقـل من عام استطـاع القيام بمنجـزات تتطلب أعـواما طويلة وكـان تجرده من الطابع الـقبلي من أهم الأسبـاب التي حققت له الـنجاح في هذه الفتـرة في قيادة البلاد ، فقد فرض على الجميع الالتزام والطاعة لاسيما أنه قد اجتمعت له صفات في شخصـيته ومقدرة المسؤل المـنظم الذي له من قوة الشـخصية والموهبة الـقيادية وحب الجميع لـه مافرض به ذاته وأدرك أبعاد المد الإسلامي الـذي كان يهدف إلى إتمام فتـح كل فرنسا ولما كـان عبد الرحمـن الغافقي يـضع في خطته أنـه لابد من العودة إلى المناطـق التي انسحب منها بقـواته بعد مقتل السمح بـن مالك الخولاني وكذلك فإنـه شهد مقتل عنبسه بن سحيم الكـلبي قبل عودته إلى الانـدلس حيث تكالبت علـيه عناصر وفلول الفرنجيـة والقوط قبل عبوره معابر الـبرانس فكان كل هذا يجـول في خاطره وكـان عليه أن يـعد للأمر عـدته ومن ثم كـان عليه الـقيام بأعمال الإصلاح الداخلي في الأندلس وتقويه الجـبهة الداخلية وتوحيدها استعدادا للإنـطلاق في الـغزو وعمل عـلى نشـر العدل ورفـع الظلم وعـامل أهل الـبلاد

العسكري معامله حسنة . وقدزار في بداية حكمه المدن والأقاليم ليحل بنفسه الخلافات والمنازعات وجعل ينظر في الشكايات التي ترفع إليه بنفسه وعزل القضاة الذين يثبت له عدم حكمهم بالعدل بين الرعية وحكام الولايات والمدن الذين اخلوا بوظائفهم وعين حكاما بدلا منهم وقضى على كل ثورة وأخمد نارها في مهدها وعمل على نشر الإسلام في بلاد (فرنسا) من ناحية أخرى لاسيما أنه قضى أيامه عاملا في جيوش الإسلام الغازية فيما وراء البرانس وشهد كل الحملات الإسلامية التي اخترقت المعابر تفتح فرنسا وكان يمتاز بشجاعة نادرة ومقدرة عظيمة على خوض المعارك والحروب وكان من النوع الذي تستهويه الغارات البعيدة المدى والضربات المدوية وكان من طراز الفاتحين الذين يرسمون خطط الفتح الثابت المستقر فيعمدون إلى مراكز المقاومة ويهاجمونها لكي يتم الفتح وتدخل البلاد في حوزه الإسلام .

وسجله الحربي العسكري يشهد له أنه قد ابلى بلاء حسنا في موقعه طولوشه التي استشهد فيها السمح بن مالك الخولاني وكانت هذه المعركة قد تركت في نفسيته أثر عميقا لاسيما أنه قاد القوات المنسحبة بعد مقتل السمح وعاد بها إلى الأندلس .

ومن هنا فقد كان تواقا لملاقاه الفرنجة . ومن ثم فقد أعلن عبد الرحمن الجهاد في سبيل الله ضد الفرنجة والتصميم علي فتح بلاد الفرنجة كلها لكي تصبح ولاية اسلامية تجاور الأندلس شمالا .

خرج عبد الرحمن الغافقي بحملته الكبيرة في اوائل عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م وكان معه سبعين ألف جندي تقريبا معظمهم من البربر في حين أن الروايات الأوروبية تذكر أن قوات المسلمين التي قاتلت في معركة بواتيه كانت أربعمائة ألف مقاتل (٤٠٠ ألف) وكان ان عبر ممر الرونسفال Roncesvalles في جبال البرنيه . وان شارل مارتل قد أحس عن طريق الجواسيس والمعلومات التي قدمت له عن هذه الحشود فحشد له جيشا أكبر واستعد له لاسيما أنه ادرك أنه بهذه الحشود القوية

الكبيرة العدد لابد أنها قادرة على اكتساح امبراطورية الفرنجة كلها وبدأ واضحا أن هذه الحملة الإسلامية ستكون حاسمه في تقرير مصير بلاده المترامية الأطراف وهي أن المسلمين لابد لهم أن يواصلوا فتح باقي أنحاء الامبراطورية ومواصلة الزحف نحو الشمال تحقيقا لهدفهم الأعلى في فتح كل أوروبا وبدأت القوات الأوروبية تتوحد لوقف المد الإسلامي القوى الذي اكتسح اسبانيا في فترة زمنية وجيزة وهي أن يزحف من الجنوب إلى فرنسا للسيطرة عليها بقيادة قائد كانت القيادة الأوروبية تعلم من هو الغافقي وما هو دوره في المعارك السابقة ولقد كان تحرك الغافقي شمالا يهدف أولا إلى تحطيم قوة اكتانيه واخضاع اودوا اوديس ، وأن الغافقي صعد مباشرة نحو هذا الاقليم مهملا الطريق التقليدي إلى بستماتيه حيث سار القواد السابقين ومن اخطاء عبد الرحمن الغافقي أنه لم يحاول أن يكسب صداقة الدوق اودو بل أنه لم يعمل على ايقافه على الحياد واتى عبر جبال البرت في ١١٤هـ/ صيف عام ٧٣٢م في الممرات راسا إلى قلب بلاد اودو فاضطر هذا إلى طلب العون من رجال الفرنجة لاسيما أن عبد الرحمن كان سبق له قتل مونوس ، وهو عثمان بن نعسه الخشعمي واطلقت عليه المصادر الأوروبيه «مونوس» وكان هذا يرتبط بالدوق اودو بمصاهرة ومعاهدة صداقة وكان قتل مونوس ، قد اشعر اودو بالخطر وحمس شارل مارتل والدول الأوروبية الشمالية على الأخذ بأهبة الاستعداد وتجميع الجيوش لملاقاة المسلمين الزاحفين واستولي عبد الرحمن على مدينة ارل Aratum الواقعة على مصب نهر «ردونه» ثم دخلت جيوشه طلوشه «تولوز» وبردال Bordau أكبر مدن الأقاليم وبعد القضاء على المقاومة في هذه المدن أخذت المدن تتساقط أمامه بسرعة مذهلة في مقاطعة اكيناتبه ، وكان قد ارتد شرقا للقضاء على ثورة حدثت في مدينة ارل واستطاع القضاء عليها . ثم أتخذ طريقه إلى مدينة Tours حيث دير سان مارتان St.Martin الشهير وهناك على ضفاف نهر دوردني Dordogne احدى روافد نهر الجارو Garonne جرت معركة عنيفة بين الغافقي والدوق اودو دوق اكيتانيه هزم فيها الأخير وتحطم جيشه شر تحطيم ولكن الدوق تمكن من الإنسحاب بنفسه والانسحاب إلى الشمال طالبا المساعدة والعون والاحتماء بشارل مارتل بعد أن كان المسلمون قد دخلوا بودو

واحتلوها وتقدم عبد الرحمن ودخل بواتيه بعد صراع طويل وعتيق وشرع يستعد للسير شمالا نحو باريس ، وكان الغافقي يتقدم سريعاً نحو الشمال ويتابع انتصاراته حيث ذكرت جميع المصادر الأوروبية والعربية أنه دخل مدينة بوانيه Poitiers واستولى عليها . وتوجهوا إلي مدينة تور Tours على نهر اللوار واستطاعوا الاستيلاء عليها وبعد ذلك رأت قوات الفرنجة بما وصل إليها من امدادات عسكرية من جهات أوروبية مختلفة وعجل شارل مارتل فحشد كل مااستطاع من قوة للقاء المسلمين لاسيما أن كلا الطرفين كان يشعر بأهمية المعركة التي ستقرر مصير كل من القوتين وعلى الجانب الإسلامي انتشرت قوات الجهاد بقيادة الغافقي في السهل الخصب الممتد بين مدينة بواتيه وبين مدينة تور على الضفة اليسرى لنهر اللوار Loire ودارت المعركة الحاسمة في مكان يقع إلى شمال بواتيه في اتجاه تور Tours في مكان يسميه العرب والمسلمين (بلاط الشهداء واستمرت المناوشات عدة أيام تصل إلى ثمانية أيام قبل أن يستشهد القائد البطل عبد الرحمن الغافقي وكان لهذه المدينة شهرة بالغة ويبلغ المد الإسلامي نقطة بعيدة في أضخم حملة عبرت جبال البرت وحققت هذه الانتصارات الساطعة السابقة الإشارة إليها والتي استغرقت اشهر قليلة لم تكن في مصلحة سياسة التوسع في أوروبا فالسيادة الإسلاميه قدرلها أن تقف عند مدينة تور في أقصي امتداد منظم إلى عمق فرنسا حيث كان الجيش الإسلامي كبير ولكنه لا بالكثيرة التي يصفه بها المؤرخون الأوربيين وقد قدر للطموح الإسلامي في اجتياح القارة الأوروبية أن ينتهى عند هذا الحد ذلك أن اودو كان قد وضع الفرنجة واوروبا أمام الكارثة المرتقبه التي تتشهد وجودهم إذ لم يبادر شارل في التصدي للزحف الإسلامي بقيادة الغافقي وكان من حسن حظ أوروبا وبلاد الفرنجة أن يكون شارل على رأس السلطة الفعلية في هذه الدولة وعلى رياسه البلاط وحده في هذه المملكة بعد أن تخطى كل العقبات في البداية ، وما لبث أن سوى الأمور مع الكنيسه وبدأ يستعد للخطر الخارجي القادم من المسلمين حيث كان على جانب كبير من الشجاعة والثقة بالنفس حتي أنه عندما قدم إليه «اودو» لم يكن هناك مايحمله على التردد أو تجاهل الخطر الذي داهم أبواب دولته وهكذا بادر شارل إلى القيام بعملية التصدي التي وضعت

فيها اوروبا كـل آمالها فحشد أقصى ماعـنده من طاقات وكان جيشه الضـخم تظهر عليه بوضوح الملامح الصليبية بعناصـرها التي لم تقتصر على الفرنجة وحدهم بل تعدتهم إلى شعوب أوروبيه أخرى وهي البـلغار والالمان والإيطاليين وماحولهم من شعوب الشمال وقد أطلـق المسلمون اسم الفرنجة أو الفرنج على جمـوع الصليبيين الذين وفدوا من غرب أوروبـا سسواء من فرنسا أو انجلترا أو المانـيا أو ايطاليا دون تحديد لأصل عنصري وربما كان السبب في ذلك غلبة الفرنجي على الموجه الصليبية ولقد عرف المسلمون المعـاصرون تعبير فرنسا ومن المحتمل أنهم استـعملوها للدلالة على الجـانب الأكبر مـن املاك الفرنجـة وليس كل تـلك الاملاك في حـين قصد بالامبراطورية الفرنجية تلك الأقاليم التـي تحدها جنوبا جبال البرنيه أو البرت والتي سماها المسلمون أو سمو الجـزء الأكبر باسم الأرض الكبيرة The vast land ومن هنا فـإن الحشد الأوروبي الـذي شهدته ساحـة معركة بلاط الـشهداء كان يـشكل موجات صليبية من هذه الأجناس الأوروبية .

وتحركت هذه القوة الاوروبية الهائلة نحو نهر اللوار (Loire) حيث بلغتها أنباء الحشود الإسلامية هناك :

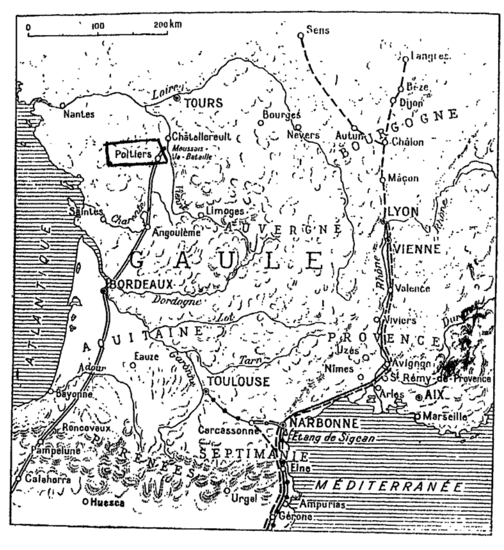
وينبغي قبل الدخول إلى تفاصيـل الأحداث القادمة بين المسلمين وقوات أوروبا أن تلاحظ أن الجيش الإسلامي الـذي استطاع أن يستولي على كل مقـاطعة اكتاينه وان يسيطـر على معظم الأراضي الفـرنسية في بضعـة شهور قليلة ورغم شـجاعته وارتفاع روحه المـعنوية وتحديد الهدف الإسـلامي الذي يقاتل من أجلـه وهو نشر لواء الإسلام . كان قـد يعد كثيرا جدا في تحـركه شمالا عن قاعدة بلاد المـسلمين حيث أصبح على بعد أربعمائة كيلو متر (٤٠٠ كيلو متر شمال جبال البرت وجبال البرت تبعد تسعمائة كيلو متر «٩٠٠ كيلـو متر» عن القاعدة العاصمة قرطبه فتكون المسافة بينه وبين خط الامداد ١٣٠٠ كيلو متـر وهذه مسافة كبيرة جدا تجعل طريقة امداد الجيش بالمؤن والرجال والأسلحة والزاد امـرا عسيرا لاسيما أن معابر البرت كانت صعـبة الاختيار . ولو أن المـدد والعده وصلت إلى الـغافقي حين طلـبها لم تكن تـصل إليه فـي أقل من شهـر نظرا لصـعوبة الطـريق في حين أن شـارل كان

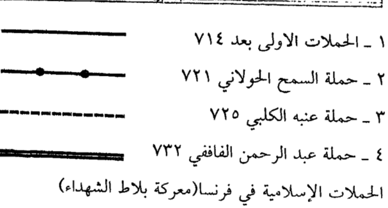
يحارب في بلاده وخطوط امداده متصله وأرض المعركة نفسها خط امداد له حيث أنه بين مواطنيه وشعبه الذي التف حوله دفعا لنور القرآن والإسلام المندفع من الجنوب كما أننا نعترف صراحة أن غالبية الجيش الإسلامي كانت من البربر ولم تكن العلاقة بينهم وبين العرب ودية لاسيما أن القائد الغافقي قد أمر بقتل «مونوسة» عثمان بن أبي نعسه الخشعمي كما أن الغافقي لم يعمل على علاج الأمر بسرعة ليقرب إليه مجموعة من البربر المشهورين ليكونوا مساعدين أو مستشارين له في العمليات العسكرية مباشرة ، كما أن عوامل البيئة الجغرافية والمناخية والبيئية لم تكن تساعد على تحرك القوات التي لم تتعود على القتال في ظل الثلوج والمطر المنهمر والبرد القارس ، كما أن منطقة حوض نهر اللوار كانت منطقة غابات كثيفه والفارس العربي المسلم لم يكن يحسن ويجيد القتال في نطاق الغابات لكن اسلوب الكر والفر الذي كان يستخدمه العرب والمسلمين لم يكن يصلح في مناطق الغابات والأحراش العالية ، ثم أن طول المسافة وعدم اعطاء الراحة الكافية للدواب والخيول ولاسيما أنه كانت قد خرجت لتوها من معركة الجارو Garonne مع اودو كل ذلك كان له أثر مباشر في الروح العربية الإسلامية لاسيما أن الخيول العربية كانت تعمل في الجو الدافىء الجاف أكثر من جو البرد والأمطار ، إضافه إلى أن عبد الرحمن الغافقي كانت تنقصه القدرة على وضع خطة قتالية محكمة ولم يكن لديه جهار مخابرات واستطلاع يمكنه من اكتشاف مواقع العدو حيث أنه واصل السير حتى لقيه الفرنجة مباشرة وجها لوجه وكان الأحرى أن تكون هناك قوات استطلاع تقوم بدورها . وماكان من الغافقي إلا أن تراجع إلى سهول بواتيه لاتخاذ مواقعه فيها بعد أن وصلته معلومات عن كثافة الجيش الفرنجي إلا أن تحركات شارل كانت سريعة رغم ضخامة قواته ومالبث شارل أن دفع بعد الرحمن وقواته جنوبا ليدرك مقدمه الجيش الإسلامي الزاحف عن طريق روماني يؤدي إلى بلده شاتلدوا Chatellerault الواقعة على نحو عشرة كيلو متر من مدينة بواتيه poitiers .

وكان جنود الإسلام جنود المعسكر الإيماني في حالة معنوية عاليةلا ينقصهم الإيمان وكيف وقد خرجوا من الأندلس يريدون النصر أو الشهادة وكانت غالبيه الجند لديها خبرة بالقتال في مسالكه وطرقة وعرفوا طريقة قتال العدو الأوروبي مع عنبسه الكلبي وقبله مع السمح بن مالك الخولاني وقد اشتبكوا معه مرتين والثالثة مع اودو ولكن تلك المنطقة الواقعة بين مدينتي تور Tours وبواتيه poitiers كانت جديدة عليهم ووضعتهم الظروف بها نظرا لقدمهم أكثر شمالا وتقدم قوات شارل بسرعة سريعا للجنوب وكانت على بعد مائتي كيلو متر من باريس وظهر جيش اوروبا كتلة واحدة متماسكا لشعوره بالخطر على المصير حيث كفاءة القيادة متمثلة في شخص شارل مارتل وضخامة عدد القوات التي جهزت له أوروبا منذ وقت طويله استعداد لصد الهجوم الإسلامي وكان الجند الإسلامي يعتمد على اسلوب الهجمات الخاطفه والسريعة والهجوم المباغت وكانت القوات في مستوى تدريب جيد ولديها طاقات قتاليه عاليه ومسلحه بروح الإيمان ونور القرآن وكانت عوامل الانتصار في صالحها فهناك القيادة الفذه الشجاعة الخبيرة التي لديها طاقة ايمانية وأدراك لتحمل المسئولية القتالية والجند المدرب الذي خبر القتال واحترافه والعوامل النفسية المشجعة التي ولدتها موجة الانتصارات الباهرة منذ عبوره جبال البرت وصولا إلى اكتايانية ومنطقة اللوار الواسعة لكن خط الامداد الطويل ١٣٠٠(ألف وثلاثمائة) كيلو متر كما سبق القول كان يشكل نقطة الضعف الرئيسية على هذه القوات اضافة إلى أنه لم يكن لدى المسلمين رصيد اضافي من القوات يمكن الدفع به عند الطلب حيث أن الغافقي حشد كل قواته إن لم يكن كل قواته في حملته إلى اكتيانيه اضافة إلى أنه كان يترك بعض الحاميات في كل مدينة أو حصن يتم فتحه مما قلل كثيرا من حجم القوات العسكرية في الموضع المشار إليه بين تور Toursوبواتيه Poitiers جنوب باريس بمائتي كيلو متر ومن هنا كانت الأحداث المأساوية التي سوف نتعرض لها في الفصل القادم عن سير أحداث المعركة وماحدث فيها وماهي الأسباب الأساسية في حدوث تلك الهزيمة التي حلت بجند الإسلام على هذا البعد القريب من عاصمة الفرنجة وماهي العوامل التي حالت دون الانطلاق بخطة متكاملة تحقق الفوز الذي كانت تسعي إليه القيادة العسكرية الإسلامية ممثلة في شخص القائد عبد الرحمن الغافقي وكبار رجاله ومستشاريه .

الفصل السادس

أحداث بلاط الشهداء
بواتيه *poitiers*





الحملات الإسلامية في فرنسا(معركة بلاط الشهداء)

أحداث بلاط الشهداء (بواتيه Poitiers)

لا تمدنا المصادر الأندلسية بمعلومات واضحة او تفصيلات شافية عن هذه الموقعة ولاتلقى عليها غير ضوء خافت ولـم تحدد لنا موقع الميدان الذي دارت فيه أحداث معركة بلاط الـشهداء بدقة فمراجعنا الأنـدلسية والإسلامية عموما لـم تفصح عن ذلك لكنها ذكرت أن المعركة دارت في بلاد الفرنجة وسمت الموضع بلاط الشهداء، ويذكـر أن الغافقـي استشـهد في موضـع يقع بـين مدينتـي تور (Tours) ويواتيه (Poitiers) عـلى بعد ٢٠٠ كيلو متر جنوب بـاريس وقد كان اللقاء عـلى بعد ٢٠ كيلومتر شمال (بواتيه) في الطريق إلى تور وجنوبي مجرى اللوار في موضع قريب من طريـق روماني قديم هـو المسمى بالـبلاط وفي هذا المـوضع قريه تـسمى الأن مواسية لاباتاي Moissias La Batille وربما كان موقعها يحدد مكان المعركه.

وقد دارت المعركة بالقتال الشرس أكثـر من أسبوع طوال عشره أيام مما يدل على إنها كانت معركة حامية الوطيس والحـق أن كلا الجانبين بذل أقصى مافي وسعه في القتال وصبـر المسلمون صبرا طويلا حتـى تجمعت عليهم القـوات الأوربية من كل ناحيـة فلم يقتصـر الأمر على الفرنجـة بل كان هناك كثـيرون من أجناس جرمـانية أخرى ، وآخر مراحل المعركة كان هجوما عـلى المؤخرة للجيش الإسلامي وصولا إلى القلـب فتزعزع نظام الجـيش وحدثت ثغرات استـطاع الاعداء النفاذ مـنها إلى القلب وفي ذلك الـوقت استشهد القائد عبـد الرحمن الغافقي بسهـم أصابه بمقتل وقد كـان هذا نـذير الهزيمـة لوفاة الـقائد وذلـك بعد أن تحركـت بعض الـقوات الإسلامية تجاه المؤخـرة لمحاولة صد الهجوم الخلفي لاسـيما أن الدوق أودو حاكم كونتيـانه الذي هزمه المسلـمين كان الساعد الأيمن لـشارل مارتل قد قاتل المـسلمين مرارا وعرف نقط الضعف لديهم وأراد أن يعمل على استغلالها مكان الهجوم على المؤاخرة وحدث خلل في تنظيم القـوات الأمر الذي أستدعى سحب بعض القوات من المقدمة والميسرة لـصد الثغرة التي أحدثتها قوات الفرنجة لـكن تقدم الفرنجة كان أسرع نظرا لوصولهم إلى قلب المعركة حيث المكان الذي كان يقود منه عبدالرحمن الغافقي قواتـه المتقدمه وأصيب القـائد الشهيد بسـهم قاتل وأحدثت وفاتـه ارتباكا

شديدا بـين القوات عنـدما علمت بـنبأ استـشهاده وكان الأحرى عـلى هيئـة قيادة القوات وكبار المستشارين آن يكتموا خبر اسـتشهاده عن جنودة حتى ينجلي الموقف لمصير المعركة لكن خلافا خدث بين هيـئة القيادة وكبار القواد وكان قرار الإنسحاب لوفاة القائد وقد استمر القتال مع ذلك حتى هـبط الليل فتحاجز الفريقان وانتهزت فلول المسلمين الفـرصة فتسللت من مكان المعركة تحت الظلام فـلما أصبح الفرنجة لم يجدوا للمـسلمين أثر ولكنهم وجدوا ذخائـر عظيمة فانتهبوهـا ولم يفكروا فى تتبـع المسلمـين واستطاعـت البقيـة الباقيـة من القوات الإسـلامية الإنسـحاب إلى أرجونه.

وهناك بعض الـتعليلات التى تبين أسبـاب الهزيمة للقوت الإسلامية والـتى منها القول أن الغـافقي كان قد تجاوز مسـافة بعيدة من مـكان المعركة حيث عـسكر فى أراضى (بواتيه) بعيدا عن القاعدة قرطبـة حيث لم تكن قادرة على إمدادة بالقوات فكيف للـقواعد العسكرية الأخرى كالـقيروان والفسطاط ودمشق ان تلـبى حاجاته فى هذا المجال أما نقطة الضعف التالية فكانت تكمن فى عدم الإنسجام بين عناصر المقاتلين حيث كانـت تسود روح العصبية الحزبية فالمقاتلون مـن البربر افتقدوا ذلك الإندفاع المتماسك المتعاون الذى تجلى فى معارك الفتح فى اسبانيا حيث كانت بذور النقمـة على التسلط العـربى تأخذ طريقهـا إلى نفوسهم وإن كان ذلك شـعور غير علني ذلك لأن الغافقي استطاع بشخصيـته القويه المتحررة من رواسب العصبيه أن يستقطب هذا العدد الكبير من المقاتلبن وأن يمتص حساسيتهم إلى حد كبير لكن كما تذكر بـعض الأقوال فإن غالبـيته البربـر لم يتحمـسوا أكثر للمـعركة وتطلـعوا إلى الإنسحاب من ميدان المعركة اكتفاء بما وصلوا إليه من مد إسلامى فى هذه الأراضي حماية للقوات من سـلبيات الصمود وخسارة كل شئ ولكن عبـد الرحمن الغافقي لم يكن يدور فـى خلده سوى الغزو وهو القـائد المدرب الخبير بقتـال هؤلاء القوم ولم تكن فكره الإنسحـاب فى معرض المناقشة مع هيئة أركانه ومـستشاريه ومجلس الحرب الذى كان يضم كبـار القواد لأن هذه الفكرة لم تكن تسمـح لها بالظهور أو السماح لأحـد من المستشاريـن أن يفكر فى ذلك وقـد تكون هذه من بنـات أفكار

المؤرخين الأوروبـيين لأن معنـى ذلك الإستهـانه بكل الإنجـازات التي تحقـقت فى فرنسا شمال جبال البرانس والعودة إلى نـقطة البدء ولو أن هذه الحملة كانت مجرد غزوه مثلها مثل مـاسبقتها من غزوات عنبسة الكلبى أو الـسمح بن مالك الخولانى لكانت فكره الإنسحاب راقت له وتخلى عـن تلك المدن والأقاليم التي سقطت فى يده ولكـنه آثر أن يمضى فـى المعركة حتـى النهاية دون أن يـفقد الإيمان بالانـتصار وتثبيت رايات الإسلامي فى قلب فرنسا وهو الذى كان يطمع فى السيطرة على كل اراضى فـرنسا وفى اواخـر شعبـان ١١٤هـ اكتـوبر ٧٣٢م. درات أحداث المعـركة وحقق المسلـمون انتصارات أوليه وكاد أن يكـون الظفر النهائى لهـم لولا خطأ فى عدم تغطيه المؤخرة وكانت النتيجه سقـوط القائد البطل بعد قتال عنيف وطويل دام عشرة أيام وقيل أكثر من أسبوع. وقد سميـت هذه المعركة فى المصادر العربية باسم (بلاط الشهداء) حيث أن التسمية لهـا علاقة بالمكان الذي كان على الأرجح اطلال قصر قديم فكلمـة بلاط هنا مرادفه للقصر وليس لاشتقاق آخر بمعـنى الطريق المبلط او المرصوف ويحمل المكان حاليا اسم (موسة لاباتاي Movssais labataille) وكانت معركـة البلاط فى غايـة الأهمية حيـث ظلت لها أصـداء خاصه فى العـلاقات بين المسلمين الأوربـين وحولها تمحور الصراع الـعسكرى العقائدى بـين الطرفين خلال الأجيال القادمة. .

ومن ذلك ما تشهده هذه الأيام فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين وظهور نغمة بلاط الشهداء (بواتيه) وتخـوف أوروبا من خطر الإسلام الأصولي (السلفي) الزاحف الذي بدأ يشكـل قوة حقيقية فى البلاد العربيـة والإسلامية ولاسيما دول الشمـال الأفريقي الـقريبة مـن جنوب أوروبا مـن هنا ارتفـعت صيحـات الأجيال المعاصرة (١٩٩٤) تطالـب بتوحيد أوروبا لصدا (بواتيه)جـديدة وكان شارل مارتل جديد فـى صوره (هيلمـوت كول) رئيس وزراء المانـيا الذى قال فى حـديث له إن المسلمـين الاصوليين إن امسكـوا بزمام القيادة السـياسية في الجزائـر وإذا قدر لهم وتملكوا صواريخ متوسطة المدى فإنهم سوف يهددون جنوب أوروبا (هذا هو شارل مارتل فأين عبد الرحمن الغافقي فى العصر الحديث)

وقدم المسلمون فى هـذه المعركه تضحيات غالية فى سـبيل مد راية الإسلام إلى تلك البقاع وان كانت لم تصل معلومـات وافيه عن هذه المعركة فإن ذلك يعود فى المقام الأول إلى فقد وضياع المؤلفات والمخـطوطات الإسلامية في حركة الاسترداد الأسبانية التي عـملت على التخلص من كل ما هو إسلامـى ومن هنا ضاعت هذه المؤلفات الإسلامية التي تتحدث عن هذه المعركة.

لكن مايمكن استنتياجه عن هذه الاحداث ان عدد القوات الاوربيه والفرنجيه كان يفوق كـثيرا الجيـش الإسلامي ولاشك ان شـارل مارتل قد اسـتنجد بـكل الدول والإمارات والأقاليم الأوروبية وأنه استعد استـعداد كافيا واعد للأمر عدته وخطط له مبكرا وكان يراقب تحركات المسلمين المستمرة فى الأراضى الكبيرة منذ سنوات.

هذا الى جانب العديد من العوامل الأخـرى ومنها طبيعه الأرض والجو والقتال والدفاع عـن ديارهم وغيـرها من العـوامل الأخرى التـي كانت لاشك فـى صالح المعسكر الفرنجى لاسيما أن المعركة دارت فى جو مطير وارض موحله وتلال وعرة حيث جرت معركة بـلاط الشهداء. وإذا أعتبرت خساره المسلمين جسـيمة فى معركة بواتيه Poitiers بحيـث انها قضـت علي تصميمهم على اجـتياح كل القـاره الأوربية وعدم اقتناعهم بما وصلت إليه أيديهم من مواقع على السفوح الشمالية لجبال البرنيه (البرانس) فكره خاطئه فان هناك محاولات غزو اخرى تتكلم عنها.

لقد تحدث كثيرا من المؤرخين والباحثين الأوروبيين عن مكان المعركة ولكنهم لم يتفقوا عن مكان التجديد فقد اجمع رنيو Reinad، كندى conde كوديرCodera ان المعركـه دارت فى المنطـقه الواقعـه بن مدينـتى تورTours علـى نهر الـلوارLoire وبواتيهPoitiers على نهر Clan كلين وفروعه راقد فينVienne والمسافة بين المدنيتن حوالى ٩٠ كيلو متر لذلك تسمى المعـركة فى المصادر الاوربية باسم إحدى المدينتن تور أو بوايته فقد ذكر أنها بدأت عند مديـنة تور كما ذكر أنه الميدان الذي اشتد فيه وطيس القتال قرب بواتيه ، وحيث أن المعركة استمرت مايقرب من عشرة أيام وأنه ربما حدث بـعض التحـرك فى تغير المـواقع خلال هذه الفـترة كما ادعـى أن تكون معركـه تور أو بواتيه . كمـا ذكر أن ميدان المعـركة كان قرب طريق رومـانى قديم

يصل بين بواتيه ومدينة Chatelleranit شاتلرو على نهر فيتي فرع من اللوار وبينهما حوالى ٣٠ كيلو متر فى مكان يبعد حوالى ٢٠ كيلو شمال شرق بواتيه ويحتمل أن تكون الأحداث النهائيه التي حسمت المعركة لصالح قوى أوربا قد دارت فى المكان المسمى حاليا (موسه لابتاى Moussaiss La Bataille وربما فى قرية خندق الملك Fosse la Roi وفى قريه واقعه بين مدينتي تور وبواتيه وقد اكتشفت فى تلك القرية حديثا حفريات تمت فى هذا المكان عن العديد من السيوف العربيه التي ربما تكون من أثر المعركة فلعل موضع هذه القرية ضمن ميدان معركة بلاط الشهداء كما أن بعض المصادر تذكر أن أحداث هذه المعركة فد دارت فى رمضان ١١٤هـ اكتوبر/ نوفمبر ٧٣٢م وربما الإنسحاب والقتال والتقدم طوال عشرة أيام قبل أحداث المعركة تدور بين هذه المدن وقد تغنت المصادر الأوربية بهذا الإنتصار واوعزت السبب بما يتلائم وفكر الإنسان الأوربى عن حركة المد الإسلامى وركزت على أن أسباب الهزيمه تعود إلى كثرة الغنائم وان الحملة كانت مجرد غزو يستهدف اشباع شهوات الجند بالغنائم فقط وأن تلك الغنائم أثقلت الجيوش الإسلامية والتي كان يضعها فى المؤخرة وأن الدوق اودو دوق اكتانيه هو الذى دل جيش شارل مارتل على مكان الغنائم حيث كان الجيش الإسلامى مثقلا بالغنائم وأن من عادة العرب والمسلمين ان يحملوا غنائمهم معهم فيحتفظون بها في مؤخرة الجيش مع حامية قليلة العدد تقوم بالحراسة والحفظ وأن بودو أراد ان يشغل المسلمين من ناحية الغنائم لعل ذلك يخل نظامهم أثناء القتال ولذلك قام بحركة الالتفاف السريعة بمهاجمة مؤخرة الجيش الإسلامى حيث الغنائم وحدث ماقدره بودو فقد اختل نظام الجيش الإسلامي فتراجعت بعض القوات لانقاذ الغنائم بينما استمر القتال فى المقدمه (روايه مؤرخين اوربين لجعل اسباب الفتح الغنائم والأسلاب) وأن جيش شارل مارتل التف من الخلف لكى يستولى على هذه الغنائم مما أحدث ارتباكا وفوضى فى المعسكر الإسلامى حيث انصرف الجند للدفاع عن المكتسبات المادية وتركوا أمر الدفاع والقتال وحدثت حالة من الفوضى استطاع الفرنجة من خلالها احداث عده ثغرات فى صفوف الجند الإسلامى ووصلوا إلى القلب حيث قتل الغافقي وتلك صورة معاكسه على الإطلاق للروح الإسلامية التي تتحرك لنشر الإسلام وسعيا

لإنقاذ أوروبا من ظلم النبلاء وتحكم رجـال الإقطاع وسيطرة رجال الدين وصكوك الغفران وتحكم الكنسيه وسيادة الجهل والتـخلف والبدائية وليس سعيا وراء الغنائم والأموال وفصة الغنـائم فى مؤخرة الجيش قصة وهميـة لاتمت لروح الإسلام التى تعمل فى سبيـل الجهاد وإعلاء شان الإنسان وهدايه البشريـة لاسيما أن الجو العام للمـعركة كان يـشير لرجـحان كفة المـسلمين فـي بدايتة لـكن عندمـا اشتد القـتال واستشهد الـغافقي حيث كان الجيش الإسلامـى مستمراً فى القتال وقتـل كثيرا من الفرنجة وكانت الأيام الثلاثة الأولى فى المعركة فى صالح الجند الاسلامى لكنه من بداية اليوم الرابع من القتال استشهد الـقائد مما هز من قدرة المقاتلين في الاستمرار في دحر الفرنجـة وتحول القتال لصالحهم بمـجرد إعلان نبأ مقتل الـقائد وكان ذلك السبب المباشر في انسحاب الجيش الإسـلامي ولعل ترك الجيش الإسلامى لمعسكرة كما هـو بخيامه ومـعداته جعـلت الفرنجة عـند انبلاج الفـجر يشعـرون أن الجيش الإسلامى لايـزال فى مواقفه لاسيـما أن نار Fire المعسكـر كانت لاتزال مشتـعلة والخيـام منصوبـة في مكانـها وهذا يعـكس قدره الجـيش على الإنـسحاب المنـظم والمحكم والقدره الفائقة على التموية لاسـيما بعد أن أستطاع حمل قتلاه وكان هذا الإنسحاب دليلا على الإنضباط وسرعة الحركـة والقدرة على المناورة والتعتيم على العدو بعدم مـعرفة ميعاد الإنسحاب وكـيفيه تحرك القوات الإسلامـية فى اتجاه إلى الجنوب أو فى أى الإتجاهـات تحركت هذه القوات التي لا يمكـن أن تكون أقل من خمـسين أو أربعين ألـف جندى لأن عـدد القتـلى لم يصـل إلى عشـرة آلاف من الجانب الإسلامى وان كان عدد القتلى فى الجانب الأوروبي أكثر بكثيرا لاسيما أن الانتصار كان فى البداية لـصالح المسلمين لكن المعارك تقاس بما تكون عـليه النتيجة النهائية ولصالح أى من الأطراف المتصارعه لكن اوروبا هولت من شأن هذه المعركة ورسمت حولها اساطير وقصص وروايات خيالـيه وبالغوافي القول بأن هذه المعركة قد اوقفت الزحف الإسلامى للأبد ونهـائيا عن اوربا وأن المد الإسلامى قد توقف عن الاستـمرار والتقدم الـسريع داخل أراضى فرنـسا وأن المسلمـين لن يستطـيعوا التقدم شمالا بعدما كان فى بواتيه أو تـور بل إنهم اعتبروا أن المعركة كانت حاجزا

أنقذ اوربا لكن الصورة كانت بالعكس لان الزحف الإسلامى لو حقق أهدافه لتطورت اوربا وبكرت حركه النهضه الأوربية بعده بعدة قرون بدلا من القرن الخامس عشر وهكذا كما تصورا فإن نتائجها كانت منعطفا تاريخيا على قدر كبير من الأهمية فقد تم إنقاذ اوربا من خطر الإسلام على يد شارل مارتل (حسب التصور الأوروبي) فى مملكة الفرنجة والذى استحق عن جداره لقب المطرقة التي سحقت قوه العرب والمسلمين فى فرنسا وباعدت بينهم وبين التقدم خطوات مستقلبية فى هذه الأماكن مرة أخرى (أقوال ليفي بروفنسال) وهو الاسم الذى أطلقه عليه البابا (جريجورى الثالث) حيث باركت الكنسيه البابوية فى روما هذا الانتصار العظيم وهللت اوربا عن بكرة ابيها لهذا الإنتصار ودقت الكنائس أجراسها فى كل دول اوربا تبارك هذا الانتصار وحقق شارل ماتل هدفه فى وقف الطوفان الإسلامى الذى اكتسح اسبانيا في أقل من أربعه أعوام وكاد يسقط مملكة الفرنجة ونقف هنا وقفه قصيرة لكى نرد على الذين مجدوا معركة بلاط الشهداء (بواتيه) من المؤرخين الأوروبيين وتقول لهم ان شارل مارتل لو انتصر نصرا حماسا كما تقول مصادرهم على المسلمين فما الذى منعه من التقدم نحو الجنوب ومطاردة المسلمين الذين انسحبوا جنوبا إلى الاندلس والاستيلاء على باقي الممتلكات الإسلامية في جنوب فرنسا لو أنه كسر شوكه المسلمين كما تقول تلك المصادر فكيف استطاع عبد الملك بن فطين القهرى الذى آلت إليه القيادة (١١٤-١١٦هـ) بعد عبدالرحمن الغافقي ومن بعده يوسف الإندفاع إلى الشمال لتوطيد نفوذ المسلمين فى هذه الأراضى ومااللذى دفع جند اربونه بعد المعركة مباشرة بالسير شمالا والاستيلاء على اراضى فرنسيه جديدة وفتح تلك الاقاليم مرة اخرى ولم يستطع شارل مارتل أن يحرك قواته أثناء هذا التقدم الإسلامى فى جنوب إمبراطورية الفرنجة ولم يفكر فى السير للقاء الزحف الإسلامى القادم من الجنوب أو على الأقل إرسال أحد من فرقته الحربية لمقاتلة المسلمين ولكن اكتفى بما حدث في بواتيه وخاف الدخول فى قتال مع المسلمين بعد ان شهد لهم بالبساله والصبر والشده والفراسة فى القتال والقدرة على التحرك السريع ، ولكن الظروف خدمته

فـي هذه المـعركـة ورغم مـاعرف مـن حب شـارل فى ضـم الأراضى وتـوسيـع أمبراطوريتة وطمعه فى توطيد سلطانه (محمد محمد الشيخ دوله الفرنجه وعلاقاتها بالأمويـين بالأندلس الاسكنـدريه طبع ١٩٨١م) وقد تكون كل هـذه الأسباب هي التي دفعت المـسلمين إلى اخذر زمام المبادرة والـقيام بتوطيد النـفوذ الإسلامى فى الاراضى التي تم الإستيلاء عليها من قبل.

وتقول أن الذى دفع شارل مارتـل إلى عزوفه عن مقاتلة المسلمـين وتجنبه اللقاء معهم بعد معـركة بلاط الشهداء هو أنه ذاق مرارة الحرب معهـم وعرف قوة إيمانهم وجلدهم وصبرهـم وقدرتهم على القتال فـصار بعد ذلك يتجنب الدخول في معركة واسعة معهـم ويخشى الـلقاء معهم فى معارك كثيرة وقدر رأيناه يتـخوف من تتبعهم بعد الانسحـاب ولو أنه لمس فى نفسه قدره لـقام بمهاجمة موخرة الجيـش المنسحب لكـنه اكـتفى بمـا حصـل علـيه من اسـرى (ثلاثـه آلاف أسير والـغنـائم الخـاصه بالمسلمين).

وأنعمت البابوية عـلى شارل بلقب مارتل (Martel) وصار يعرف به وبمـا يحمله من ملامح صليبه ظاهره. ولم بجانـب الصواب كتابات المؤرخين الأوروبيين حيت انحازت عن جاده البحث العملى وضخمت الحدث بتصورات مبالغ فيها دون إدراك الأحداث الداخلـية في المغرب والأندلس والـشام وما كانت تمر به الخـلافة الأموية فى عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥- ١٢٥هـ) من تغيرات جوهرية.

لكنها تحدثت عن مـستقبل القارة الأوربية إذا ماكتب لمعركة بـواتيه أن نتتهى إلى غير صلح الأوروبيـين ذلك لأن المد العربى الإسلامى فى اوربا المـسحية قد وصل الى ذروته في معركة بواتيه ولم يكن هنالـك من سبب يدعو المسلمين الى التوقف لو حالفهم النجاح فكل الدلالات تشير إلى أنهم لو حققوا انتصاراً فى تلك المعركة فكان اصرارهـم على التقدم والمـضى فى الخطة التوسـعية الى النهـاية واطواء كل اوربا تحت لواء الإسلام ورايه القران الكريم.

ولقد قال احد المؤرخين الأوروبيين (Gibbon: RomanEmpire) أن معركة بواتيه انقذت أبـاءنا الإنجلـيز وجيراتـا الفرنسـين من نيران القـرآن المدنى والديـنى وأنه لوحقق المسلمون، انتـصارا فـى هذه المعـركة لرأيـنا الـقرآن يدرس فـى اكسـفورد

والسربون. لكن المعركه حفظت جلال روما وأخرت استعباد القسطينطينية وشدت بآزر المسيحية وأوقعت بأعدائها التفرق والفشل وحدث بينهم الصراع العنصري والقبلى.

ويؤكد جوستاف لوبون فى كتابه حضاره العرب أن معركة بلاط الشهداء (بواتيه) لم تضع حدا لتقدم الغرب كما يزعم كثير من المؤرخين بل أن المسلمين سرعان ماأفاقوا من هول الهزيمة واخذوا يستردون مراكزهم السابقه لاسيما ان انباء المعركة عندما تردد صداها ببلاد المغرب حيث العاصمة القيروان وعندما بلغ (عبيد بن عبدالرحمن السلمى) الوالى الأموى على المغرب فقد تم تعيين حاكم للأندلس فورا هو عبد الملك بن فطين الفهري. فأسرع هذا إلى أرجونه (أربونه). وفى الطريق أعاد الهدوء الى املاك المسلمين فى جبال البرت وجنوب فرنسا وتثبيت سلطان المسلمين فى سيتيمانيه وفى جبال البرت وعقد معاهدات مع نفر من الرؤساء الذين خلفوا الدوق اودو في حكم نواحي اقطانيه وتمكن فى وقت قصير أن يتلافى الكثير من الآثار السيئه التي تخلفت عن هزيمة البلاط. وقد سلم حاكم مرسليا مقاطعه البروفانسى إلى المسلمين. وهكذا أصبح إتخاذ القرارات بمبادرات توسعية جديدة في أوروبا امر يحيط به الكثير من الشكوك ولكن تمسك المسلمين بمكتسباتهم فيما وراء السفوح الشمالية لجبال البرثيه أصبح امرا واقعا ولابد من الحفاظ عليه انطلاقا إلى رحلة أخرى عندما تسمح الظروف أن قول بعض المؤرخين عن هذه المعركة أنه لو قدر لعبد الرحمن عبدالله الغافقي وجيشه بالأنتصار لرأينا القرآن الكريم يتلى ويدرس فى جامعات الغرب (كمبردج واكسفورد والسربون) أى أن هذه البلاد كانت ستصبح مسلمة لكن عندما أفاقت اوربا على الحضارة الإسلامية فى الأندلس وصقلية وجنوب ايطاليا ادركوا خطأ هذه الأقوال واعتبروا ان توقف الزحف الإسلامى فى معركة بلاط الشهداء كانت نكبه كبيره أصابت أوروبا بضربة عنيفه حرمتها من الحضارة الإسلامية وأن الإنتصارات كانت نكسه عليهم. إن الذى ينظر إلى هذه الأقوال والكتابات الأوربية عن واقعة بلاط الشهداء ورواياتها يدرك مدى التحامل والكراهية والبعد عن الحقائق أو إهمالها أو تصورات خاطئه تعلل

خساره المسلمين فى واقعة بلاط الشهداء لاسباب لم يكن لها منها إلا محاولة الدس والوصول إلى التفرقة مثل القول بحدوث خلاف بين العرب والبربر، لكن الجميع قاتلوا بشجاعة فائقه وتحمس للدين والعقيدة لأن الإسلام لم يكن يفرق بين العربى والبربري فالجميع سواسيه ولقد سبق ذلك فى المغرب والأندلس ولم تكن هناك حساسيه فى المعامله لكن غالبية المشتركين فى المعركة كانوا من البربر فليسمن المعقول أن تكون سيطرة القله على الأكثرية وان قصه (موسونه) عثمان بن أبي نعسه الخشعمي لم تكن ليبنى عليها مثل هذا الأفتراض وأن اسشتهاد الغافقي كان من الأسباب القويه للانسحاب السريع لإنقاذ الجيش وعدم الاستمرار فى معركة ظهرت بوارد صعوبة الاستمرار فيها بظروفها القاسية ، حتى إنه بعد استشهاد القائد الغافقي فإن الجيش الإسلامى كان مستمرا فى القتال ونال من الفرنجة رغم هذه الظروف لكن استشهاد الغافقي زاد الموقف صعوبة ففضلوا الإنسحاب ولعل تركهم الخيام منصوبه والغنائم في مكانها مطروحة كما يقولون ولم تكن هناك غنائم ، ولكن روايات أوروبية تذكر أن الغنائم كانت سبب الهزيمة لأنه بسببها جرت حركة التفاف خلف المعسكر الإسلامى فتراجع بعض الجيش لحمايتها ومنع الفرنجة من الاستيلاء عليها كما كان السبب فى اختلال الجيش وفقده لتوازنه وتماسكه واستشهاد الغافقي وهزيمة الجيش وقصة الغنائم أسطوره لا اصل لها وهى تتعارض مع الهدف الإسلامى فى الجهاد ونشر الإسلام وإعلاء كلمة الدين وكان ترك الحامية القليله العدد لحمايه ظهر الانسحاب والخيام ما هو إلا تمويه وتضليل للعدو لم يدركها الفرنجة إلا صبيحة اليوم التالي وهم يستعدون للهجوم ، والإنسحاب كان وفق خطة مدروسة خططت لها هيئة مستشاري القوات وأركان القيادة بعد استشهاد القائد الغافقي لكن قرار الانسحاب كان قرار القيادة التي تحملت المسئولية بعد استشهاد الغافقي لأن انسحاب هذه الأعداد الكبيرة ووصولها الى أرجونه يعني أن قرار الانسحاب كان خطه تم ابلاغها للجميع لتنفذ فى سرية تامة وفى جنح الظلام ليلا وان الانسحاب كان من الأسباب الأمنية لحماية بعض القوات التي كان لابد ان تنسحب لحماية شمال جبال البرانس ولم يكن نتيجة بوادر انكاسرية لأن الفرنجه ومعهم الأوروبيين لم يستطيعوا التحرك خلف القوات المنسحبه ولو أنهم ادركوا

ضعف هذه القوات لكان قرار المتابعة قد صـدر من شارل للقضاء على بقيه القوات المنسحبـة لاسيما أن كتاباتهـم قد بالغت مبالغه مـفرطة فى كثرة القتـلى فى الجيش الإسلامى. لـكن فرصه الأوروبيـين وكثره كناياتـهم أن المد الإسلامى تـوقف عن الاستمرار والـتقدم داخل الآراضى الفـرنسية الذى كان مـتوقعا اطوائهـا تحت لواء الإسلام ذلك لأن الارادة الإلهيـة شاءت أن تكون هذه المعركة حـاجزا دون اندفاع المد الإسلامى ليـشمل القارة الأوربية كلـها ولكن رغم وقوع هذه المعـركة وتخوف المسلمـين من الإندفاع فى سهـول فرنسا ورغم قصـر الحديث عن هذه المعـركة فى المصادر العربية حتى أنه لم يات ذكرها إلا فى سبعة سطور فى مصادر عربية متفرقة ورغم إفاضة المصادر الأوربية فى الحديث عنها وعن نتائجها وتوقف المد الإسلامى عن السيطرة واحتـواء القاره الأوربية فاعتبرُوا المعركة حاجـزا أنقذ اوروبا ومن هنا زادوا الحديث عـنها والتـهويل لاحداثـها ونتائـجها في جـو من التزويـر والإفتراء والمبالغة.

يعتبر المؤرخون الأوربيين هذه المعركة مـن المعارك الفاصلة فى التاريخ الاوروبي فيذكر المؤرخ الاوربى (جيـسون) أن العرب لو تحقق لهم الانتصار فـى تلك المعركة لنتشرت المساجـد فى باريس ولندن بدلا من الكاتدرائيـات الآن ولكان القرآن يقراء ويتلى ويفسر فى اكـسفورد وغيرها من المراكز العلمية فى انحـاء اوربا المختلفه كما علق المؤرخ (جون دوايورت) فى كتابه العرب عنصر السيادة فى العصور الوسطى) على موقعة بواتيه فقال المرجح أن معركة بواتيه التي نشبت بين عبدالرحمن الغافقي وشارل مارتل بأواسط فرنسا وانتهت بتقهـقر العرب كانت أعظم عامل على تقلص ظل الحضارة العربيـة عن الغرب ولو انتصر العرب فى هذه الموقعـة الكبرى لكانت اوربا اليوم عبارة عن مقاطعة عربيه إسلامية بلاريب.

ولقد أسرف الفـرنسيون فى تقديرا أهميـة معركة بواتيه فذهبوا إلـى أنها أنقذت حضارة غرب اوربا ووضعت حدا لسيادة الشـرق على الغرب والواقع أن هذه كلها مبالغـات لايقبلها الحـكم التاريخى الـصحيح فلم يـكن الفرنجة الذيـن تصدوا لرد المسلـمين عن فرنسـا بأصحاب الـبلاد بل كانوا غـزاه اغاروا عليهـا وتملكوهـا بحد

السيـف فإذا كان العرب المسـلمون اغربا عـن فرنسا فقـد كان الفرنجة اغرابـا ايضا وكانوا يحكمـون البلاد بالعنف والقسوة حكـما أجنبيا خالصا وكانـوا يترفعون عن أهل غاله الاصليين ويعتبرونهم رعايا عـليهم واجب الخضوع لهم ولم يكن الفرنجة الذين حاربهم المسلمـون قد انتصروا للثقافة اللاتينية كمـا زعم مؤرخو الغرب فلم يكن هؤلاء الفرنجة يعرفون عن اللاتينية شيـئا ومن هنا لم تكن موقعة بواتيه انقاذا للحضارة اللاتينية بقدر ماهي خسارة لعدم تقدم الحضارة الإسلامية فى ذلك الوقت من القرن الـثامن الميلادى وفي الوقـت الذى سلط المؤرخون الاوربـيون المحدثون الأضواء على موقعة بواتيه أو بلاط الشهداء فإن المصادر التاريخية الإسلامية القديمة لم تهتـم بها جانبا فهـى لم تكن فى نظرهـا إلا غزوة لاتختلف عن الـغزوات التي خاضها جند الإسلام من قبل فى فرنسا أو فى غيرها من البلاد التي خضعت للفتح الإسلامى ولم يزد ماجاء فى تلك المصادر عن هذه المـوقعة عن سبعة أسطر مبعثرة على صفحاتها وربما يزيد عن ذلك وأن إجماع المؤرخين المسلمين عند عدم الاهتمام بهذه الموقعـه مما يؤكد أن هذه الموقعة لم تـؤثر على تطورات الأحداث تأثـيرا كبيراً ولم تكن لها قيـمة وزن على الاطلاق طوال العصر الوسط بدليـل قيام الوالى عبد الله بن فـطين الفـهرى الذي ولـى القيـادة بعد اسـتشـهاد عبـدالرحمـن الغافـقي (١١٤-١١٦هـ) بنشاط حـربي خلف جبال البرانس(سوف تـشير الى ذلك) أنظر كتابMercier : Chares Martel et la Bataille de Poriters

لكن قد يكون القاء الأضواء على هذه المعركة حديثا والذى صدر فى باريس عام ١٩٥٤م أن الأمر لايـعدو أن يكـون محاولة مـن جانب المـؤرخين الأوروبيـين فى العصور الحـديثه لتلمس أحـداث من الماضي يربطون بـينها وبين تاريخـهم الحديث القصير العمر في مجـده وتطوره (انظـر الاهرام (صحيفه) السـبت ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٤) حديث الاستاذ محمد حسنين هيكل وفـيه تاكيد لما ذهب إليه المؤرخين الاوربين في العصر الحديث:

وكما سبق القول فإن القيام بحركة الالتفاف السريعة لمهاجمه مؤخره الجيش الإسلامى قد عملت على اختلال نظام الجيش يتراجع بعض القوات لحماية المؤخرة ووقف تقدم قوات الفرنجة وصولا للقلب فيما اكثر واستطاع الجيش الأوروبي فتح ثغره فى دفاع المسلمين والوصول إلي حيث القائد عبد الرحمن بن عبدالله الغافقي حيث استشهد فأصبح الجيش بلا قياده وقد وقع خلاف بين رؤساء الجند وهل الاستمرار فى القتال إلى نهايته أم الإنسحاب وانتصر رأى الإنسحاب وأضطر المسلمون إلى الإنسحاب فى ظلام الليل دون أن يشعر بهم أعدائهم ولم يتعقب شارل مارتل فلول جيش المسلمين خشية أن يكون إنسحابهم تدبيرا للإيقاع به في كمين والقضاء عليه لكن مشروع غزو فرنسا لم يمت بنهاية عبدالرحمن الغافقي لكن المشروع ظهر مرة أخرى (الفصل السابع)

ولا غرو فقد كان من عادة الجيوش الإسلامية إنها كلما استعدت وتجهزت لفتح وتهيأت له أن يأمر قائد القوات الزاحفه ان ترافق الحملات نوعيات مختلفه من طوائف الشعب في كل حرفه ومهنه لاسيما الحرف والمهن التى لها علاقة مباشرة بالقتال والجيش وخدمة القوات والحرب والعتاد الحربي والبناء والتشيد ورجال القانون والشريعة (ابرام المعاهدات) وجماعات الدين للوعظ والإرشاد والعلماء فى فنون صنع الأسلحة والبارود والطب والجراحة والصيدلة ورجال التاريخ العارفين بتواريخ الأمم ورجال الترجمة العارفين باللغات اللاتينية وعاداتها وتقاليدها ونظمها الاجتماعية والاخلاقية لأن هدف المسلمين من جراء هذه الحملات ماكانت ترمى إلى بعث الارهاب وبث السيطرة والجبروت فى قلوب الناس وإنما كانت أهدافهم اسمى وأعلى من هذا كله فالمسلمون كما نعلم يحملون رساله قرآنية سامية تهدف إلي نشر لواء الحضارة الإسلامية والنور والإيمان والعدل والسلام بين كل الشعوب المختلفة الألوان واللغات ومن المعروف أن الحروب فى كل زمان ومكان تنتهى بوقوع القتلى والجرحى والاسرى من كلا الجانبين المتحاربين كما حدث في معركة بلاط الشهداء (بوتيه) حيث أسر الاعداء من جيوش المسلمين وقيادتهم مالا يقل عن ثلاثه آلاف جندى وجد بينهم بعد التحقيق من شخصياتهم عدد غير قليل من

الخبراء فى صناعة الأسلحة والبارود والطب والصيدلة والتمريض والبناء وصنع الأدوات الثقيلة وبناء الجسور وغيرهم من أرباب الفنون والصناعات كما وجد المستشاريين من أهل العلم والأدب والتشريع وهكذا سقط بعض الاسرى المسلمين فى معركة بلاط الشهداء حيث لم بقدر لهذه الحملة النجاح وهكذا كانت حملة عبدالرحمن الغافقي على فرنسا ترمي إلى نفس الأهداف وتلقف الأوروبيين الاسرى كغينمه بارده وراحوا على توال الأيام يستغلون مواهبهم التي كان الفرنجة يتعطشون إلى استغلالها لشدة حاجتهم إليها فقد كانوا غارقين فى بحور مدلهمه من الضلال والفوضى وأصبح هؤلاء الاسرى نواة حركة حضارية وعلمية متقدمة وقد تحدث جوستاف لوبون قائلا أن انتصار شارل مارتل لم يكن له أهمية كبرى كما يذهب بعض المؤرخين بل أن مارتل أخفق تماما في اجلاء العرب عن المدن التي فتحوها بل تقهقر أمامهم تاركا لهم مافتحوه ولو انتصر العرب لكانت الفرصة لانتشار الحضارة الإسلامية الزاهرة كما انتشرت في الأندلس فقد كانت ثمار التقدم فى فرنسا وباقى أنحاء اوروبا مثلها كذلك فى الأندلس وصقلية وجنوب ايطاليا لكن فرنسا واوروبا استفادت من الاسرى المسلمين حيث كان رجال الدين المسيحي أول من تنبه لأمر هؤلاء الأسرى ثم شاركهم في هذا الشعور جماعة ممن سبق لهم أن اتموا دراستهم وثقافتهم بالمعاهد العربية الإسلامية في الأندلس (٩٥-١١٤هـ) تسعة عشر عام ، فالفوا بادئ ذى بدء كتله اسموها باللاتينية مامعناه النواه المركزية راحت تعمل على الاستفادة علميا وحضاريا وفنياً من هؤلاء الاسرى كما أن الأستاذ أحمد أمين في كتابه ظهر الإسلام قد تحدث عن موقعة بواتيه فقال : لقد كانت بواتيه موقعه فاصلة بين العرب والمسلمين في الأندلس والفرنجة في أوروبا ومن خلفهم، إذ لولا هزيمة المسلمين في تلك المعركة لفتح المجال أمامهم واسعا للإنتشار والتقدم لفتح كل القارة الاوربية كما كان هو مرسوم منذ عهد موسى بن نصير واستفاد سكان تلك الأقطار المفتوحة بما عليه المسلمين من أخلاق وقيم وتقاليد اسلامية وحضارة واستفاد سكان اوربا من تعاليم الإسلام الخالدة وحضارته الزاهرة.

ولانخرط الاوربين في دين الإسلام وتعلموا لغـه العرب واطلعوا على علومهم وفنونهم ولكان العالم أشبه مايكون بكتلة واحده ولكن شاء الله أن يقفوا عند هذا الحد وراى الفرنجة تمجيد شارل مارتل لأنه حمـاهم من غزو المسلمين واعتقدوا أنه لو انتصر عليهم المسلمين لما كانت النهضة الاوربية والاستقلال الأوروبي ولا علمهم ولا فنهم لاسيما أن معظم جنود شـارل مارتل كانوا من البدو الاجلاف؟ شبه عراه رغم بروده الجو وباقى الجند يرتدون جلود الذئـاب ويغطون رؤوسهم بشعور ملبده وهذا خير دلـيل على التخلـف الحضاري والحياة البـدائية ولقد لعبـت عدة عوامل دورا كبيرا في عدم امتداد النفوذ الإسلامى فى فرنسا فقد اقتصرت محاولة المسلمين على العبور إلى فرنسا من الأبواب والممرات الشرقيه فى جبال البرت وكان الوحيد الذي عبر من المعابر الغـربيه هو عبدالرحمن بن عبدالله الغافـقي ومن هنا لم يركز المسلمـون في تلك المناطـق وركزوا جهودهم فى جنـوب شرق فرنسا ولم يـهتموا بالجهات الغربـية التي يسكنها أقوام جـيليون اشداه ظلوا شوكة فى جـنب المسلمين وكان مـن الضرورى فتـح هذه المنـاطق لتـأمين الأراضي الإسلامـية فى الأنـدلس وفرنسا. كما أن فرنسـا كانت تبعد كثيرا عن العاصمة الأمـوية فى دمشق مما لايتح الفرصه للقواد العـرب للاستفادة من توجهات الخليفة ورجاله ومـا يبعثون لهم من امدادات عـسكـرية وعتـاد تكون دفـعا لحـركة المد الإسـلامى وكانـت حركـة المد الإسلامى التى يسعى المسلمون الى تحقيقها في فتح منظم للأقاليم الفرنسيه وادخال فرنسا فـي رحاب الدوله الإسلامية الـعربية وكانت جـهود المسلمين في فـرنسا من أمجد جهودهم وكـانت تضحياتهم في سبيـلها من أغلى ماضحوا به فـي فتوحاتهم وجهودهم خير شاهـد ، واستشهاد العديد من قوادهم في سـبيل ذلك شاهد عدل ولولا أن تكاتفـت ظروف خارجية وداخلية عـلى حرمانهم من الاستـفادة من هذه الجهود لتغير وجه التاريخ الإنساني فى تلك القارة .

إضافـة إلى أن العرب المـسلمـين لم يلبـسوا أن افاقـوا من تلـك الضربة الـتى اصابتهم من شارل مـارتل أن أخذوا يستردون مراكزهم السابقه وقـد آقاموا بفرنسا (مائتي عام بعد ذلك) وثبت إقامة المسلمين في فرنسا فترة تزيد عن قرنين بعد شارل

مارتل، ومن هنا فإن النصر الذى حققه شارل مارتل فى بلاط الشهداء (بواتيه) لم يكن مهمـا كما زعم المؤرخون ولم يستطع شارل مارتل أن يطرد المسلمين من آية مدينة فتحوها عسكريا بل أنه اضطر إلى التقهقر أمامهم تاركا لهم ماستولوا عليه من البلدان وكانت النتيجة المهمه الوحيدة التي أسفر عنها انتصاره هى أنه جعل المسلمين أقل جرأة فى غزو شمال فرنسا نتيجة مثل هذه وأن كانت كتاباتهم لم تكف لتضخيم أهمية انتصار هذا القائد في بلاط الشهداء (بواتيه).

ذلك لان حاكم مقاطعه مرسليا ومقاطعه بروفانس سلم للمسلمين حكم البلاد عام ٧٣٧م واستولوا على الأولى ودخلوا مقاطعة سان ترويز عام ٨٨٩م ودامت اقامتهم بمقاطعه بروفانس حتى نهاية القرن العاشر من الميلاد وأوغلوا في مقاطعه الغال وسويسرا عام ٩٣٥م ويرى بعض المؤرخين أنهم بلغوا مدينه ميس وبذلك لم تكن بلاط لشهداء (بواتيه) بالصورة الفاجعة التي صورها المؤرخين الاوربين الذين احاطوها بها له من التقديس والتكريم.

بل أنه مما يدعو للعجب والاستغراب أن يجد المرء بعض كبار المؤرخين فى عالمنا العربى الإسلامى والذين يتبوؤن مكانة عالية علمية اكاديمية وتلقى وسائل الاعلام المسموعة والمريئه الضوء عليهم باستمرار ينساقون وراء كتابات المؤرخين الأوروبيين وينقلون عنهم أقوالهم المغرضة التي توضح الإساءه البالغة للإسلام وأهله دون توضيح الهدف أو بيان القصد فنجد مثلا الدكتور أحمد شلبى في كتابة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية جـ٢ طبع ١٩٦٩م ص١٢٩،ص١٣٠، يقول بالحرف الواحد يجدر بنا أن نلجأ الى جوستاف لوبون ليقرر لنا حقيقه هذه المعارك الفاصلة التي درات ووقعت فى جنوب فرنسا ومدى أهميتها ، يقرر غوستاف لوبون أن العرب استولوا على نصف فرنسا الحالية ولم يكن قصدهم الاستقرار بتلك البلاد وإنما كانت غاراتهم ترمى إلى التخويف وجمع الغنائم ولاحظ أن الكاتب (فرنسي الجنسيه) وكان زحف العرب (وليس المسلمين) جارف أرعب أصحاب الاقطاع بفرنسا وأرعب شارل مارتل نفسه ويقتبس غوستاف لوبون من المؤرخين الغرب

(دون ذكر المصدر) عباره تدل على صخب الزحف العربى وهذه العبارة وهى أن كثيرا من سيدات الفرنج اشتكوا إلى شارل مارتل من الأضرار التى أحدثها المسلمون بهم ومن الخزى الذي أصاب اوربا من جراء انهزام جيوشهم أمام العرب فاجاب شارل مارتل قائلا: دعوهم يصنعوا مايشاؤن فهم الآن كالسيل الذى يأتي على كل مايعترضه ولكنهم إذا ما أثقلتهم الغنائم وطاب لهم المقام بالبيوت والفوز برفاهية العيش واستحوذ الطمع على قادتهم ودب الشقاق في صفوفهم ، زحفنا عليهم واثقين من النصر (هذه إساءة بالغه في حق الإسلام والمسلمين لأن الإسلام نشر دعوه ورفع قرآن كريم ولان المسلمين ليسوا طلاب غنائم ولا قصور ولا نساء ولاطمع ولا شقاق) ويضيف الدكتور قائلا: وصحت نبؤة شارل مارتل واتبع هو هذه الخطة التى رسمها فقد انتظر على العرب حتى هدأت ثورتهم وثقلت غنائمهم ودبت المنافسة بينهم ثم قابلهم بجيش كبير ودارت المعارك يوما كاملا (خطآ) لقد دارت أحداث المعركة اكثر من أسبوع بل عشره أيام) ولم تسفر عن نتيجة حاسمة، ودخل الليل وبدأت المعارك تهدأ وحينذاك اقتحمت فرقة من جيش الفرنج معسكر المسلمين وخاف هؤلاء على غنائمهم فارتدوا للدفاع عنها تاركين الميدان وتقهقر بذلك الجيش العربى وتتبعهم شارل مارتل وأخذ ينهب البلاد التى يمر بها حتى أن أمراء النصارى خافوا زحفه فحالفوا العرب ليتخلصوا منه (ومن الذى كان ينهب ويسلب المسلمين أم الفرنجه لقد كانت الغزوه الاخيرة تشهد على ان المسلمين لم يكونوا يتحركون من أجل السلب والنهب ولكن تلك طباع الفرنجة.

أن عبدالرحمن عبدالله الغافقي كما ذكر عنه ابن شكوال فى كتابه نفح الطيب أنه كان رجلا نقيا ورعا تقيا سيرته عطره اشتهر بالعدل والمساواه وحبه للجهاد فى سبيل الله كما أنه كان من التابعين وقد ورى عن عبدالله بن عمر بن الخطاب (فكيف يكون قائد جيش من التابعين الذين تتلمذوا على رسول الله ﷺ يكون سلوك جيشه جمع الغنائم والكنوز وللاسف سار بعض العرب على نهج وفكر الغرب دون فحص أو تدقيق أو تفنيد هذه الأساليب الرخيصة لخداع القارىء العربى والمسلم بعيدا عن الحقيقة والتى تصف جند الرسالة الإسلامية طلاب الشهادة أو النصر بأنهم طلاب غنائم وأسلاب ونساء وشهوة وملذات.

واذا كان الجانب الاوربـى يتصور أن أسباب الهـزيمة هى حرص المسلـمين على الأسلاب والغنائم بعد تركهم القتال والانصراف لحماية هذه الكنوز والرد على مثل هذه الدعاوى بسـيط وسهل وميسر وهو أنه كيـف يحمل معهم هذه الغنـائم لمسافة ١٣٠٠ كيلـو متر بعيدا عـن العاصمة القـرطبية ، ودعنا مـن المسافة من العـاصمة بواتيه ولكـن كيف يتم حمل هذه الغنائم لمسافة ٤٠٠كيلو شمال جبال البرت. ألم يكن أولـى لهم أن يتـركوا هذه الغـنائم فى أى من المـدن الكثيـرة التى تم فتـحها والسابق الاشارة إليها لاسـيما أن كل مدينه كان يتم ترك حامية إسـلامية بها إضافة إلى أن هذه الغنـائم لـم يكن قد تم تقسيمـها بين الجنود حتى يحتفـظ كل جندى بما يستحقه من هذه الكنوز وهنا تسقط دعوى جوستاف لوبون وغيره من كتاب الغرب لاسيما أن الجيش الإسلامى يعلم مقدما بناء على تقارير الاستطلاعات العسكرية أنه ذاهب لقتال كل اوربـا وإنه فى اراضى واسعة وشارل حشد كل مـايمكن حشده .
إن القوات الإسـلامية مرت فى طريـقها في اراضى فقـيرة جرداء وأهلها مـعدمون لا يملكون كنـوز ومجوهرات بل إنهم كانوا يـلبسون جلود الحيونات إلـى منتصف أقدامـهم ونصف أجـسامهم عـارية ولكن لمـا كان انتصـار بواتيه المحـدود هو أول انتصار يتحقق لاوربا منذ دخل المسلمون اوربا في عام ٩٢-١١٤هـ (اثنين وعشرين عاما) فقد يعد ذلك بالنسبة لهم حدثا تـاريخيا لـم يسبق حدوثه لاسيما أن الذعر قد أصاب الجند الـفرنجى فى بداية المـعركة من جسارة وقـوة إيمان المقاتل المسـلم وقد صورت الكنيسة ورهبـانها والبابا جريجوري الثالث ماحدث كـأنه يوم القيامة وركز عليه الـرهبان بأنه أنقـذ النصرانية فى ضـربة كانت تعد لـها وذلك بدوافع صلـيبية وعصبية مدفونه فى القلوب منذ معركة اليرموك فى عهد الخليفه الراشد الثانى عمر بن الخطـاب لكن بعـض الكتاب الأوروبيـين المنصفين وقـد روا ماجاءت به الـقيم الإسلامية في الأندلس وصقليه وجنوب ايطـاليا وجنوب فرنسا (أقليم بروفاس) قد اعتبروا مـعركة بلاط الشهداء نكـبه كبيرة أصابت اوربـا وضربة عنيفة حرمـتها من الحضارة الراقـية ومن تحرير الإنسـان من نير العبـودية والإقطاع والسخـرية وحفظ كرامتة طـبقا لما جاء في كـتاب الله وسنة رسـوله ﷺ ومن هنا فإن بـلاط الشهداء كانت نكسه) كبيرة اصابت أوربا وأخرت تقدمها مثلما شاهد الاوروبيين فى المناطق

السابق الإشارة إليهـا والتي دخلها الإسلام ، إن جند الفرنجه بـانتصارهم في بلاط الشهداء لم يقدموا خيرا لاوروبا لأن شارل مـارتل بما حققه قد أخر القارة الاوربية ومستقبلها الحضاري لأن ما أصابها على يد جند الفرنجة بقيادة شارل مارتلChakles Martel الذى حشد جيشـا ضخما من الفرنج ومن مختلف العشائر الجرمانية المتوحشة والعصابات المرتزقة فيما وراء نهر الراين مع المقاتلة الكثيرة من دول الشمال وأمم كلها دخلت جندا غير منظمين متوحشين نصف عراه. يتسترون بجلود الأبقار والذئاب والحيوانات الأخرى لاتستر إلا عوراتهم وشعورهم المجعدة الطويلة التي تنسدل فوق أكتافهم العارية وكأنهم سكان غابات لم يألفوا الحياة وتلك كانت حالة هذه الشعوب فى النصف الأول من القرن الثامن الميلادى (٧٣٢م) وقت المعركة فى حين أن اوربا لم تفق من غفلتها إلا في القرن الخامس عشر الميلادى وبعد المعركة بثمانية قرون. فكيف كان حال هذه البلاد ومامدى الرقي والتقدم الذى كانت تعيش فيه الحضارة الإسلامية تطل من الأندلس ، أن تقدم القوات الإسلامية وصولا إلى مايقرب من ٢٠ كيلومتر جنوب باريس أو سبعين كيلومتر أو ٣٠ كيلومتر فإن الدولة الإسلامية لوقدر لها أن تقيم نظاما سياسيا وأداريا وتنظيميا مثلما حدث فى الأندلس لتغيرت الصورة الحضارية والثقافة والعملية والفكرية كثيرا عما حدث في القرن الخامس عشر من نهضة حضارية ذلك ان الحضارة في الأندلس خير شاهد على دور المسلمين الحضاري وتقول بعض المصادر أن الراى السائد عن تاريخ هذه المعركة أنها بدات في ١٢ اكتوبر، ٧٣٢م تسعه أواخر شعبان ١١٤هـ واستمرت حتى يوم ٢٠ اكتوبر من نفس العام بل اوائل أى تسعة أيام لكن رغم ماحدث في هذه الموقعه فإن ذلك لم يمنع المسلمين من إعادة الكرة مرة أخرى والغزو فى ذلك الاقليم لأن بلاط الشهداء لم تكن إلا معركة مثل طلو شوه أو تور أو لكه أو غيرها فى فرنسا وإذا كان لم يقدر للمسلمين أن يحققوا نصرا حاسما فى تلك المعركة التي دامت مايقرب من عشرة أيام وخسروا بعضا من قواتهم واضطروا إلى الانسحاب المنتظم المدروس المتفق عليه والواضح أمام كل جندى دوره في خطة الانسحاب. فإن ذلك لا يعني أن المسلمين قد فقدوا الأمل نهائيا في فتح فرنسا ومحاولة مد الراية الإسلامية مرة أخرى إلى

الشمال أو أن شارل مارتـل استطاع زحزحة المسلمين مـن المدن والحصون والقلاع والاقاليم التي كانوا يسيطرون عليها فى أقليم جنوب وشرق فرنسا حيث كانت هذه المناطق قد أتـخذت الطابع العربى الإسـلامى وبدأت معالم الحكم والاسـتقرار فى تلك الاقاليم الواقعة شمال خط جبال البرانس وظل الإسلام في هذه الأقاليم قرابة مائتي عام أو يزيد وفـى ذلك يقول أحد الباحثين الفرنسين أنفـسهم فى كتابة Mus-lim Colonies إن الدم العـربي لازال متغلبـا فى جنوب فرنـسا ولاسيما في أقـليم يرست وغـيرها من المدن وفـى جبال البرت وفي أقـليم السافـو إذ لازال نرى إلى اليوم اناسا سحنتهم عربية صرفه ولهـم لغه خاصة بهم ويسميهم أهل تلك الأرجاء بالشرقـيين ولم يزل هؤلاء فى عـزلة عن الفرنسـين ولا يتزوجون منهـم ولكن من جماعاتهم ومن عاداتـهم ألا يقيموا المراقص في حفلاتهم وتتحجـب معظم نسائهم وتحمل الكثيـر من أسمائهم اسم الله ظاهـرا كعبد الله أو فتح الله وهـم يفتحرون بأنهـم فى سلالة الـعرب الفاتحـين لهذه الارجاء والـتي خضعـت لنفوذ أجـدادهم وسيطرتـهم فى عصر الإسلام الزاهر فـي القارة الاوربية (شكيـب أرسلان تاريخ غزوات العرب مترجم عن جوزيف رينو) ولقد كان المسلمين أكثر ميلا إلى التسامح مع سكان هذه النواحي الجنوبية من فرنسا طعـما فى كسبهم إلى جانبهم وطعما فى اقناعـهم باعتناق الـدين الإسلامى والخروج مـن دين الوثنيـة الذي يعيشون عـليه وكانت الحاميات الإسلامية فى جنوب فرنسـا تسكن فى القلاع والابراج التي بنيت لهذا الغرض وذلك لحماية المناطق الواقعـة شمال جبال البرت والواقعة تحت سيطرة المد الإسلامى وكانـوا يقيمون بإقرار السلـم والنظام بين أهل تلك الـنواحي وأيضا جمع الضرائب والأموال والخراج طبقا لنص الشريعة الإسلامية وقد ترك المسلمون لاهل تلك النـواحى في فرنسا حرية ممارسة شـعائرهم الدينية وعدم اجـبارهم على الدخول فى الدين الإسـلامى لأنه لا اكراه فى الدين بل أن كثيـرا من سكان تلك النـواح قد دخلـوا فى دين الإسـلام أفواجا بـل سكـان هذه النـواحى قد احـبوا المسلمين وتفانوا فى خدمتهم وكرهوا شـارل مارتل وحكمه وساعدوا المسلمين على تدعيم مواقعهـم فى تلك الأرجاء وقدموا لهم التسهيـلات اللازمة. وأنهم دخلوا في الإسلام كافه بل أنهم عملوا على تعلم الـلغة العربية ولو طال بقاء المسلمين فى

هذه الارجاء مـثل الأندلس لرأيـنا من بيـهم العلماء الـفقهاء والبـاحثين العلـميين والفلاسفه ورجال الكيماء والرياضة والقضـاء ورجال الدين الفرنسيين المسلمين كما حدث فى الأندلـس وهذا يعطى الدلـيل على أن المسلـمين لم يدخلوا فـرنسا غزاه ناهبين ولا حكاما طامعين ولا سياسيين محترفين ولم يضعوا الغنائم والأسلاب كل همهم ومقـصدهم بل دخلوها أصحاب رسالـة وعقيدة عاملين على نشـر رسالتهم السمحة وأن المـسلمين كان لهم أثر فـعال فى تمدين الجزء الجنوبـى من أرض فرنسا وأنه تحول بسرعة إلى التقدم والحضارة فأزدهرت العلوم والفنون والآداب والصناعة والزراعة، بل لـم يقتصر فعل المسلمين على ترقية العلوم بما نشروا من معرفة وثقافة وحضارة وأقاموا الجامعات وألفوا كتب في مخـتلف المعارف الأنسانية التى كان لها الأثر البالغ فـى فرنسا ولو بسط المسلمـون لواء الإسلام في فرنسا كلها لـتغير وجه القارة نهائيا في ذلك الجزء من العالـم ولسادت الحضارة الإسلامية في فرنسا بل أن اللغـة الفرنســية تأثرت بـاللغة الـعربية وأن الـلهجات الـسائدة فى ولايـات افرون وليموزين فإن بها كثيرا من الكلمات الـعربية لاسيما اسماء الأعلام فإنها ذات سمة عربية.

الفصل السابع

الفتوحات الإسلامية فى فرنسا
بعد بلاط الشهداء

الفتوحات الإسلامية في فرنسا بعد بلاط الشهداء

لم يكن استشهاد عبد الرحمن عبد الله الغافقى وأحداث معركة بلاط الشهداء لتحول دون توقف حركة المد الإسلامي في سهول فرنسا الجنوبية ولكن اعترافا للحقيقة فإنه لم يكن في قوة اندفاعه واستعداده وتجهيزه مثلما كان عليه الحال قبل معركة بلاط الشهداء مباشرة وماقام به الغافقى من أعمال كبيرة قد استنفذت كثيرا وأرهقت مصادر الاندلسي.

وتذكر المصادر أنه بعد استشهاد عبد الرحمن الغافقى وعودة القوات الإسلامية إلى الجنوب في اتجاه الاندلس فإن الجنود العائدة من أرض المعركة اتجهت إلى اريونه ومرت على مقربة من «جيريه» وغزت فى طريقها بلدة «ليموزين» واستولت على مدينة «سوليتال» وحين أحس الجيش الإسلامي بأن أحداً من قوات أوربا والفرنجه والعصابات المرتزقه لم تتحرك وراءه ويتعقبه خوفا من أن تكون خطة الانسحاب خدعه عسكريه يقع في شراكها جند شارل مارشل ، فإنهم تمهلوا في سيرهم، وجمعوا واحداتهم ونسقوا صفوفهم واتجهوا صوب الاندلس على مهل دون خوف من أي قوة أوربية .

وكانت القيادة السياسية في القيروان قد اسرعت وعلى وجه السرعة والتعجل خوفل على البلاد فاصدرت أوامرها بتولى قائد وحاكم جديد للاندلس خلفا للشهيد الغافقى هو عبدالملك بن فطين الفهرى وتشير المصادر الأوربية إلى أن الوالي الجديد استطاع بمساعدة أحد قواده الذين كانت لهم خبره ودرايه في الأقاليم الجنوبية بفرنسا هو يوسف الفهرى أن يفتح مدن (ارل ، ابنيون ، مالانس ، ليون) وثبت حدود املاك المسلمين هناك ، ثم اخضع أقليم «دوقيتيه» الذي يمتد شرق نهر الرون ويشمل جزء كبير كما يعرف اليوم بالريفير الايطالية واشتغل بعد ذلك بإعادة سلطان المسلمين على نواحي جبال البرت ويلاحظ أن المسلمين اتخذوا سياسة جديدة لحكم مابيدهم من أراضي فرنسية وهي إقامة حاميات قوية في المدن

وتحصين قلاعـها واتخاذ هذه القلاع مراكـز للحكم والحرب وهكـذا كان الحال في ليون و ايتبون التي يسميها المسلمون صخره ابينون وارل وغيرها.

وبذلك فقد تحدثت المصادر عن نشاط جهادي قام به عبد الملك بن فطين الفهري (١١٤ -١١٦هـ) ، (٧٣٢-٧٣٤م) عن نشاط جهادي فيما وراء البرانس، وذكرت المصـادر الأوربية نـفسهـا قائلـة أن أول عمل اهتـم به عبـد الملك هـو السيـر إلى الأراضي الفرنسـية بعد أن وحد كلمه جـنوده وجميع قواتهم وذلـك لاقرار النفوذ والسلـطة الإسلامية بهـذا الانحاء بل أن هذه المصـادر تذكر أنه وصل إلى مـدينة «لانجودك » في الأراضـى الفرنسية شـمالا واهتم ببـناء المعاقل والحصـون وحصن القلاع القديمة التي كانت لا تزال بأيدى المسلـمين وامدها بالرجال والعتاد وقام ببناء قلاع جديدة وكان اهالى اقليم سيتمامتهSeptimma والتي تقع جنوب شرق فرنسا قد خشوا أن يقعوا تحت سيطرة شارل مارتل فاستعانوا بالمسلمين المتحصنين فى أربونه وحالفـوا جند الإسلام وثبت المـسلمون في ولايتـي بورجونيا وليـون . وكان عام ١١٥هـ/ ٧٣٣م قد شهـد تحركات الفهري فـيما وراء جبال البـرانس وانه غز أرض الباسك ،ولا سيما ان هناك احتمال بأن يكون عبد الملك بن فطين الفهرى هذا هو الذي تولى قيادة القوات الإسلامية المنسحبـة من بلاط الشهداء جنوبا بعد استشهاد الغافقـى وأنه ربما يكون بمساعدة الأول وأنـه اشترك فعلا فى هذه المـعركة لأنه تم تعيينه في داخل الأراضـى الأندلسيه ولم يكن حاكما قادما من المغرب كمـا كان يتم في تعيين بعض الولاة لأن تعينه تم على وجـه السرعة ولذا كانت له خبرة بالمناطق الشمالية.

وقد ذكرت المـصادر الأوربية أن قـائد جيش المسـلمين في مـدينة اريونـه وباقي الولايات بفرنسا الجـنوبية قام بعدة غزوات بما كان لديه من قوات وتـطلق عليه هذه المصادر يـوسف وهو ربما يكون يـوسف الفهري وكـان هذا الوالي قد جمـع قواته وتحرك بها لـكي يثبت لشارل وقواتـه قوة الجند الإسلامي وإنه لازال يفـتح البلاد والحصون في نفس عام المـعركة ١١٤هـ ولهذا فإنه عبر نهر الـردانه واستولى على

مدينة اراك وسيطر علـى أقليم بروفانس جمعيه واستولى علـى بلدة فرنا ثم توجه بعد ذلك نحو ابنسون واقتحمها وتم الاستـيلاء عليها ووصلت جيوش المسلمين إلي نهر «الديوراس» ووقفوا عند هذا الحد بعد ان استعادوا بقيادة يوسف هذا جزء من الأراضى الفـرنسية ، كـانوا قد فقدوه بـعد معركة بـلاط الشهداء وخـرج من يد السيطـرة الإسلامية ، وهكذا ثـبتت أقدام المسلـمين في هذا الجزء من فـرنسا ولم يجرؤ أحد على مـنازعتهم السلطة فيها وحـافظ المسلمون على ممتلكـاتهم فيما وراء السفوح الشمالية لجبال البرنيه لاسيما (ناربونه Narbonne التي ظلت لفترة ما قاعدة الغزوات الإسلامـية في وادي الرون إلا إنهم عملـيا لم يتجاوزوا بعـد ذلك شمالا وانحسرت موجه الحرب المنظمه لتتحول إلى نظام تقليدي يشبه كثيرا نظام الصوائف (حملات كـانت تتم فى فـصل الصيف وكـان يقوم بها المـسلمون كل عـام)، فقد احاط بالتـحركات العسكريـة في تلك الفترة شـيء من الغموض والمعلـومات التي ترجع إليها وتستخدمها تكاد تقتصر على المصادر الأوربية ، وتذكر أن حاكم ناربونه Narbonne يوسف بن عبد الرحمن الـفهري (٧٣٤م) أوغل في وادي الرون واستمر نحو أربـع سنوات فى هذه المـناطق يقاتـل ويستولى عـلى المدن قبل أن يـعود إلى ناريونه . ومن المعتقد أن تراجعهم جاء في أعقاب هجوم معاكس قام به شارل مارتل الذي كان مشغولا عن المسـلمين باعداء كثيرين من ابناء جنسه فـي شمال مملكته مما أتاح للمـسلمين أن يتركوا طـوال هذه السنوات الأربع ويعـيدوا تنظيم أنفـسهم من جديـد حيث كان شـارل يعمل عـلى اخضاع شـعوب السكـسون وينظـم الكنيـسة المسيحية فى جنوب ألمانيا ومساعدة بونيفـاس في تحويل قبائلها إلى المسيحية وساعد اللمباردين حلفائه ضد البابا جريجوري الثالث واستولى على بعض اراضى الكنيسه لمنحها لاتبـاعه وقام بتعيين أعوانه في الاسـقفيات الشاغرة وبذلك لم يـكن مستعدا للقاء المسلمين ولـم ينتهز المسلمـين هذه الفرص للحشد والإنطلاق والتوسع وإضافة إلى أن الخلافة الأمـوية في دمشق في عـهد هشام بن عبـد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) كانت لها مشاغلها الكثيرة ولذا شهدت القيروان تغيرات اداريه واسعة . ولـم تكن الخلافة في تلـك الفترة تضع في حساباتـها التوسع والإنطلاق بصورة قويـه مثلما حدث من قبل في بلاط الشهداء ولم تكن بـلاط الشهداء هي التي أوقفت التوسع

والإنتشار لانه ليس الهزيمه في معركة هـي الأولى من نوعها في تاريخ المسلمين في أوربا تحـول دون الانطلاق ولكـن الظروف الـداخليـة كانت السـبب ، لاسيـما أن الخليفـة هشام بن عبد المـلك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ) كان لا يـزال في الخلافة بعد مـعركة بلاط الشهـداء (١١٤هـ) وانه لم يكن يـريد المغامره في حـرب واسعة النطاق في فرنسا ، تعد لها الخلافة كل مواردها بعد أن تم اسر أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل ومـقتل أكثر من ثـمانية آلاف جندي فى هـذه المعركة، ولهذا فـإن هشام بن عبد الملك ربما يكون وراء عدم الموافقة على الحـشد الكبير للغزو الواسع. والاكتفاء بغزوات محدودة في جنـوب فرنسا وعدم التوغل بعيدا إلى الشمـال بمسافات طويله عن العاصمه قرطبه، أو عن رجال البرانـس فهي يسهل حركة الإمداد والعودة إلى القواعد الجنوبية فـي فرنسا ولذا لم تكن الخلافة على استعـداد للدخول في معركة أخرى مثل بلاط الـشهداء . لاسيما أن جميـع الخلفاء الذين جاءوا بعـد هشام بن عبد الملك ، الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ) هـي عام واحد ثم يزيد بن الوليد أقل من ستة أشهر (١٢٦هــ) ثم ابراهيم بن الوليد (١٢٦هـ) عـدة شهورة وقد كانت هذه الفتن والخلافات والـصراعات في البيت الأموي بدمشـق عاملا قويا لاخلاف حوله في عدم قدرة الدولـة على الغزو بكثافة في فرنسا لاسيـما أن هشام بن عبد الملك كان خاتم الخلفاء الأقوياء في الدولة الأموية .

وجاهد المسلمون سبعين عاما لمواصـلة فتح المغرب وهزموا أكثر من ثلاث مرات بل تمت ابادة كـامله للقوات ومع هذا تم اعـادة فتح المغرب (انظر موسـوعه تاريخ المغرب ، الجـزء الأول،تأليف الـدكتور عبـدالفتاح مقـلد الغنـيمى ١٩٩٤م مكـتبه مدبولي) لكن شارل مارتـل كان منهمكا في مشاكله وإعاده الترتيـبات العسكرية في دولته والاستـعداد لادني تطور من جـانب المسلمين والـعمل على تحصـين خطوط دفاعاته ، لكن شارل اراد اخـتبار قوة المسلمين مرة أخري لكنـه هزم حيث أنه قام بمحاوله حصار القاعدة الإسلامية (ناربونه) ولكن حاكم الاندلس أرسل فرقة لانقاذ المدينة مالبثت أن اصطدمت مع الفرنجه في معركة عند بيير (Berrel) وهو مجرى ماء صغيـر إلى الجنوب مـن ناربونه، الا أن قوات شـارل منيت بهـزيمة قاسيـه حيث

دافعت المدينة عن نـفسها بشراسة ، لكنه كرر المحاولـة مرة أخرى وعاد إلى حصار المدينة لكن فشلـت المحاولة للمرة الثانية واضطر إلى الإنســحاب تاركا وراءه القتلى والمعدات والعتاد وهو مقتنع بقوة المسلمين رغـم بقائهم في هذه القاعدة فقد الكثير من قوة اندفاعه وقوته وحماسه وتصميمـه القديم ، وظلت ناربونه قاعدة المسلمين الدائمة فـي اقليم سينمـائيه؟ تشكل جرحا غـائرا في جسد شارل وثغـره دائمه في دولته حتى موته فـي نهاية اكتوبر عام ٧٤١م ، وهذا خير دليـل على صلابه الجند الإسلامـي وقد فشلـت كل محاولاتـه السابقـة والتي سعـى إلى السيـطرة عليـها اواستهـدفت مالديهـا فى تحصينـات قوية وموقع بـحري ممتاز يسـهل لها عمـليات المساعدة من جانب القـوات الإسلامية حيث كان المسلمين يرون فيهـا المحطة الباقية شمال جبال البرانـس وهي بدايه طموحاتهم لاستعادة مافقـدوه في فرنسا وشهدت حركة التوسع الإسلامي شمال جبال البرانس في الأراضى الفرنسية تحركا فى عهد عقبه بن الحجاج السلولي (شوال ١١٦- صفر١٢٣هـ) (٧٣٤هـ-٧٣٩م) وانطلاقه اخرى وتدعيما للنفوذ الاسلامى فى هذه المناطـق التى بسطوا سيطرتهم عليها وفى ذلك أربونه وقرفـشونه وكذلك مقاطعـة البروفانس Provence شمال سينـمائيه إلى الشرق من عاصمتها اينبون Arignon على وادي نهر الرون Rhone ومقاطعه براجنويا Purunda شمال مقاطعة البروفانس وقد سار على خـطى عنسبه بن سحيم الكلبي فى التوسع شمالا لكنه لم يتطرق إلى الأجزاء الغربية فى فرنسا.

وتشير المصادر إلى أن محاولات عقبة الـسلولى كانت آخر المحاولات الاسلامية حيث كان مـن القواد الكبار حـيث النزعه الحربيـة البارزة والإجتهاد فـي مواصله السياسه الإسلامية التوسعية والذي كان يخطط له وكانت أهم عملياته العسكرية في أقليم برجانديه ، والـبروفانس والدوفنيه Dauphine (٧٣٩م) ولكن هذه الجـهود لم تكن لـتضع قواعد ثـابته وتوسـع فعلى يثـبت الكيان الإسـلامي في هذه المـناطق المفتـوحة بل كانت مـجرد غارات ثم العوده إلـى نقطة الإنطـلاق ذلك لأن شارل مارتل كان يترصد باهتمام اخبار ونشـاطات هذا القائد ومن ثم مالبث أن أرسل في

أثرة اخاه (شلـدبراند) Childbrand . أحد كبـار القواد البارزيـن في مملكه الـفرنجة واستنـجد من جديد كـل طاقات حلفائـه الأوربيين في أجراء يـشبه إلى حد كـبير ماجرى قبل معركه بلاط الشهداء وبعد انتـصارات الغافقى الواسعة فبل هذه المعركة حيث عزم شارل على وضع حد للهجوم العربي الإسلامي لاسيما وأنه كان قد فرغ من القضاء على كـل أثر لأعدائه في فرنسا وجنوب المانيا وكـل القوى المعارضة له في هذه الاقاليم لاسيما السكسون .

وكان عقبه هذا رجلا مجاهدا مثله مثل عبد الرحمن الغافقى مسلما صلبا قوي الإيمان والعقـيدة عادلا متفانيا فـي القيام بأعباء مـنصبه الجديد لذا سار نـحو دوقيه واستولى عليها ثم استولى على مـدينة «سان بول تردا» ودوتريز ثم اتجه شمالا في جرأه وحزم فاستولى على اقليم فالانس وأيضا مدينة فنين بل انه كاد أن يقترب من مكان بلاط الشهداء فـى تحركه شمالا حيث صعد مع نهر ردانـه)واعاد فتح اقليم بورجونيه ورحل إلى بيدمنت فى شمال ايطاليا .

وبدأ المسلمون يـستعيدون مراكزهم من جديد فـي أرض فرنسا ، واحس شارل مارل بالخطر للمرة الثانية يتهدد بلاده بعـد تقدم المسلمين إلى جنوب فرنسا بحشود ضخمة ومجهزه بأحدث الأسلحة العصريه يحدوهم الأمل في الإنتقام لما حدث في بلاط الشهداء (ابواينة) وكان شارل قد انتهى من حروبه مع اعدائه في شمال البلاد ومن ثم فقـد كانت كل الظروف تـساعده للانصراف كلـية لمحاربه المسلـمين الذين اندفعوا كالـسيل العرم في الجنوب واستـطاع أن يحشد قوات عسكريـة كبيرة وولي أخاه شلديراند قيادة الجـموع يساعده في القيادة بقوات حاشدة أيضـا ملك بيدمنت الإيطـالي الذي بدأت ارضـيه تدخل فـي حوزه الإسلام والمسـلمين وذلك لـوقف زحف المسلـمين إلى الشمال ووصـل شلدبراند إلى «ابـنسيون» وكان المسـلمين قد احسنوا تحصينها وحـشدوا فيها الرجال والعتاد فعجز عن فتحـها وعن كسر مقاومه جندها . فاستنجد بأخيه شارل مارتل بعد أن استحالت عليه المدينة وقدم شارل بمدد كثـيف وشدد الاخوان الحـصار المحكم عـلى المديـنة وأمام هذا الـضغط الطـويل

والعنيف واستمرار الحصار وقلة المؤن والعتاد وعدم وصول المدد الإسلامي من الجنوب لهذه المدينة المحاصرة فلم يستطيع المسلمون الاستمرار في الدفاع عن اينسبون ولا سيما وقد تأخر وصول الامدادات الحربية من الاندلس.

ومع هذا فإنهم رفضوا تسليم المدينة واستماتوا في الدفاع عنها ودافعوا دفاع الأبطال ولكن الفرنجه استطاعوا فتحها واستخدموا كل وسائل القتل والحرق والهدم ضد المدينة وسكانها من المسلمين وجاءت إلى المدينة جيوش جرارة من الفرنجه ازالت كل أثر للمسلمين في تلك المدينة .

وبعد دلك تقدم جيش الفرنجه إلى الجنوب نحو اربونه يقوده شارل مارتل صاحب معركة بلاط الشهداء ومعه أخيه وقوات ملك بيدمنت الإيطالي وذلك على معقل المسلمين الرئيسي في فرنسا وكان قائد جند المسلمين في ذلك الوقت رجلا اسمه (هرثمه) جمع قوات المسلمين حوله وحصن المدينة واستعد للدفاع عنها حتى آخر جندى مسلم وشدد شارل الحصار على مدينة (اربونه) بقوات كبيرة ودافعت حاميتها الإسلامية عن أرضها ومدينتها دفاع الأبطال فلم يدرك شارل وجنوده أى منال ورغم أنه شدد الحصار إلى أنه اضطر إلى رفع الحصار والتقهقهر أمام الدفاع الإسلامي القوى وعاد إلى الشمال بعد أن فشل في فتح مدينة اربونه واستطاع المسلمون أن يكبدوه خسائر فادحه عند انسحابه وذلك بسبب مهاجمتهم مؤخرة جنده وأسر العديد من هذه القوات ، ويبدو أن سكان هذه المناطق قد شجعوا المسلمين على الدفاع عن المدينة وامدوهم بالمساعدات وعملوا على عدم مساعدة شارل مارتل ولذلك فإن شارل مارتل قد انتقم من أهل فرنسا ليعزى نفسه عن الفشل أمام حصون اربونه القوية فخرب حصون النصارى في جنوب فرنسا وخرب مدينة بيزته ، واجده وتيممه، وهذا دليل قوى على أن سكان جنوب فرنسا كانوا يفضلون حكم المسلمين على حكم شارل مارتل .

ونعود إلى دور عقبة السلولي في تلك المناطق فنجد أنه قد غاب عن المسرح السياسي في قرطبه بإنقلاب تم ضدة . وبوفاة السلولي تنطوي آخر صفحات

الفتح في جنوب فرنسا وننهي فترة الفتوحات في تلك المناطق بعد أن ارتبط اسمه بإحدى هذه الغزوات الكبيرة في شمال جبال البرانس ، ولكن عقبة كان كغيره من القواد الكبار السابقين له (السمح الخولانى ، عنبسه الكلبي ، عبد الرحمن الغافقى) لم يحالفهم الحظ في فتح كل فرنسا فبعد عدة هجمات سريعة في منطقة الرون Rohne وقتال بقايا القوط فى اقليم جليفيه وشن عليهم حربا ضارية لكن ذلك لم يوضح الصوره تامه عن نهايته ذلك كان الغموض يحيط بمصير عقبة بعدتوقف زحفه أمام الحشد الاوربي مرة ثانية بقيادة شارل مارل ولاسيما أنه لا توجد اشارة إلى استشهاده في هذه المعركة عند محاولة رفع الحصار الأوربى عن ناربونNorbonne لكن أصابع الاتهام تشير الى انقلاب جديد ضده فى قرطبه واستولى الحاكم السابق للبلاد (عبد الله بن فطين الفهرى) على مقاليد الأمور في الأندلس.

لكن الدكتور عبد العزيز السيد سالم يذكر أن عقبة السلولي استشهد في معركة عند مدينة قرقوشه ، أحدى مدن قاطعة سينمانيه في صفر ١٢٣هـ لعله وهو عائد إلى الاندلس بعد جهاده في فرنسا وربما كان عقبة ينوى التوجه إلى غرب فرنسا بعد أن وطد الأمور في مقاطعة بورجنديا Burgundia شمال مقاطعة البروفانس وكذلك مقاطعة البروفانس Provence شمال سينمانيه إلى الشرق وعاصمتها اربونه وقرقوشه واحدة من مدنها وتقع المقاطعه جنوبي فرنسا وشرقها عبر شاطىء البحر المتوسط وملاصقة جبال البرت ومن هنا كان عليه بعد أن وطد النفود الإسلامي في تلك المناطق أنه يتجه إلى غرب فرنسا يجتاز أقليم اقيطانيا متجها إلى المكان الذي جرت فيه معركه بلاط الشهداء وهذا ما يمكن أن نوضحه للقارىء الكريم عن خطه الفتح التي سار بها عقبة السلولى لاسيما انه كان يتحرك وفق خطه علمية مدروسة في الفتح وراء البرت متعاونا مع حكام الولايات السابقة لاسيما أنه استمر يحكم البلاد خمس سنوات قضى معظمها غازيا في جنوب فرنسا وبذلك تنتهى المحاولات الاسلامية لغزو أوربا بوفاة عقبة السلولى حيث السرعة البارزة لاجتهاده فى

مواصلة السياسة التوسعية ولكن هذه الجهود لم تحقق التوسع النهائى بضم فرنسا وتكوين دولة اسلامية فرنسية تجاور الاندلس لان شارل مارتل الذي توفى عام٧٤١م بعد وفاه عقبة السلولي بعامين (٧٣٩م) كان يترصد باهتمام اخبار هذا القائد الذي هو صورة لموسى بن نصير وطارق بن زياد وعبد الرحمن الغافقى ومالبث أن أرسل أخاه «شلبدبراند» Childerbrand أحد القادة البارزين بين قواده حيث وضع حدا لتوغل عقبه السلولي .

وهكذا كان عقبه بن الحجاج السلولي خاتمة الولاة العظام الذين قاموا بدور بارز في الجهاد وراء جبال البرانس حيث كانت تلك السمه البارزه لعهد الولاه وهو النشاط الواضح لعمليات الجهاد وراء جبال البرانس رغم ماأصاب ذلك من توقف لظروف داخلية وخارجية فإن أحداث الصراع بين العباسيين والأمويين وأحداث الشرق انعكست بدورها على دور الاندلس في نشر الإسلام شمال هذه الجبال العاليه الشامخة ذات المعابر الضيقة القليلة.

وجاء بعده حكام ضعفاء كانوا أعجز من أن يحافظوا على تراث القواد الكبار الذي بذل في فتح تلك المناطق فقد تبددت تلك المساحة الواسعة التي خضعت للمسلمين في فرنسا ولم تعد لهم غير رقعة صغير ظلوا متمسكين فيها حينا من الزمن هى ناربونه Narbonne التي صمدت صمود الابطال أمام هجمات شارل مارتل وأخيه شليدراند ،لكن شارل مارتل أصبح أقوى شخصيه في أوربا بعد انتصاره على العرب المسلمين عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م حتى وفاته عام ٧٤١م وقد استطاع بثمرة التمتع هذا الانتصار أكثر من تسع ستوات وكذلك انتصاره على قبائل الرين الوثنية، ولم يعد بطل المسيحيه ومنقذها من العرب يقف أمام الملك بلباس محافظ القصر بل كان هو الملك الفعلى حيث أمسك بيده كل أطراف السلطة وجمد منصب الملك (تيودوريك الرابع) ليتاح له ولأبنائه أن يكونوا ملوك المستقبل (بين القيصر) وحفيده شارل مارتل.

لكن النـفوذ الإسلامي لم يكـن ليدوم له الحال في نـاربونه لاسيما أن خـليفة شارل مارتل ابنه بـيبان القصر Peptnlbref (١٣٣هـ/ ٧٥٢م) قد حارب المسـلمين في الجنوب وقد ظل يبني القصر يحكم مملكـة الفرنجة مدة تقترب من سبعة عشره عاما (٧٥١-٧٦٨م) وفى عهد بيني القصير ، ابن شارل مارتل ضعف النفود الإسلامي إلى حد كبيـر والتواجدُ الإسلامي في جنوب فـرنسا ، حقيقة عاد المسـلمون لغزو جنوب فرنسـا عدة مرات واجيتاح المناطق الـواقعة على الناحيـة الأخرى من جبال البرت الا أن هذه العودة كانت مؤقته وكان باهتا فى امكان تثبت أقدام المسلمين في تلك الجهات ومتابعـة نشاطهم فيها ISCOTT, History of Moorish Empire in Euorpe p209 (اراء غريبة عكـس حقيقة الواقع الإسلامـي والتأثير القوى الفـعال في تلك المناطـق) كما كان من أثـر موقعه بلاط الـشهداء وتغـير الاحوال في شبـه الجزيزة الاريتـريه وتولـي عبد الـرحمن بـن معاويـه بن هشـام بن عبـد الملك بـن مروان (١٣٨هـ) الحكم في الانـدلس حيث تثبت دولة الـفرنجه في عهد بين القـيصر ابن شارل مارتـل سياسة جديـدة ترمي إلى تعـضيد روح الثـورة والفتنة فـي الاندلس الإسلامية ذاتها توطئة للانقضاض عليه لطرد المسلمين منها بعد أن انهارت سيادتهم وسلطتهم في جنوب فرنسا وأصبح في الإمكان احداث ذلك أيضا في الاندلس .

وكان سكان سيـتماتيه المسيحيـون قد وثبوا تحت قيادة القوطـي انسمندس Ance-mundas وبمساعدة جيـش الفرنجة على المسلـمين في سيتماتيـه وتم طردهم من أهم مدنهـا عام ٧٥٢م أي فـي سنوات قـليلة بـعد دخول عـبد الرحـمن الداخـل إلى الاندلس واستعاد الفـرنجة مدن نيمه وآجد ويزلى وماجلون وفـرضوا الحصار على اربونه كما سـيف القول ونجح المسلمـون خلال الحصار في قتل القـائد القوطي . وطال حصار المدينة نظرا لانشغال بينـين القصير في اخماد بعض الثورات في بلاده . وكان أول عمل قـام به عبد الرحمن الداخـل (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٦-٧٨٨) بعد أن تولى الحكم بـعامين فقط (١٤٠هـ/ ٧٥٨) أن حاول فك حصـار اربونه فأرسل فرقة من جيشه لذلك ولكنها فشلت في اخـراج المدينة من محنتها وقضى مسيحيوا

جبال البرت على هذه الفرقة (لاحظ خطورة هذه المعابر على تحرك المسلمين للشمال وصولا للأراضى الفرنسية) وأعقب ذلك تآمر المسيحيين من أهل المدينة مع بينين القصير لتمكنيه من دخول المدينة وتمت المؤامرة ودخل الفرنجة مدينة اربونه بعد أن أجهز المسيحيون على الحاميه الإسلامية فيها عام ٧٥٩م/١٤١هـ وفقد المسلمون هذه المدينة بعد أن خضعت للحكم الإسلامي نحو أربعين عامًا وانعش هذا الفتح مملكه الفرلجه في عهد بين القيصر واعتبرت جبال البرت الحدود الطبيعية لبلادة . وبهذا القت اربونه سلاحها الأخير على يد بينين القصير Pepinlebref بعد أربع سنوات من الدفاع المستميت وكان ذلك مؤذن للمسلمين بأن أحلامهم التوسعية في أوربا وراء جبال البرنيه قد انتهت واقتنعوا منذ سقوط اربونه بالانصراف إلى الاندلس ومعالجة شئونها الداخلية لأن أوربا في عهد خلفاء شارل مارتل الاسرة الكارولونجية) لم تعد تمارس الدور الدفاعي ضد غزوات العرب المسلمين وإنما انتقلت الى الهجوم على الاندلس نفسها معلنة حرب الاسترداد التي أخذت بدايتها في عهد شارلمان حفيد شارل مارتل لمحاولة طرد المسلمين من الاندلس وإعادتها إلى حظيرة المسيحية من جديد راسما سياسة متحينا الفرص لإخراج هذه السياسة إلى حيز التنفيذ .

ولقد كانت هناك عدة أسباب لم يستطيع المسلمين السير على هداهما للحفاظ على الأراضي الفرنسية شمال جبال البرانس،ذلك أنهم لم يستغلوا التنافس الذي ظهر بين ابناء شارل مارتل بعد وفاته واضطراب الأمور في مملكته بعدموته ، ذلك أن التنافس كان بين ثلاثة من أبنائه لكن بينين القصير الثالث حسم الأمر لنفسه لكن الظروف لم تساعد المسلمين على الاستفادة من هذه الفرصة استفادة كاملة ولا حتى انتهازها .

ذلك لان فتنة البربر في الاندلس وأفريقية (المغرب) كانت إذا ذاك على اشدها فتوقف المسلمون عن امداد قواتهم الإسلامية فيما وراء جبال البرانس وحدثت بعض الفتن والنزاع بين القسيسيه والسبائية حال دون الانطلاق لتوطيد دعائم

المقاطعات الثلاث الكبرى في جنوب فرنسا وتركت دون حماية حتى كان عام ١٤١هـ/ ٧٥٩م نهاية الوجود الإسلامي في فرنسا وهكذا وضعت نهاية للوجود الإسلامي لاسيما وأن المسلمين كانوا قد استولوا بالتدريج علي نصف فرنسا الحالية الذي يبدأ من ضفاف نهر اللوار وينتهى عند مقاطعة فرنسش كونته وهناك ترك المسلمين أثراً عميقاً في اللغة والدم فقد استقر اكثرهم في الأراضي الواقعة قريبا من المدن واشتغلوا بالزراعة والصناعة وأدخلوا صناعة السجاد إلى أبوسون) وعلموا الأهالى كثيرا من أساليب الزراعة كما امتزجوا بالسكان وأصبح للعرب أحفاد في اماكن كثيرة في فرنسا كما اثبتت ذلك دراسة على الأجناس البشرية» وقد تحدث أحد رؤساء الجمهورية الفرنسية السابقين (جاستود ومرج) فقال آن المسلمين كانوا أرحم الفاتحين وأكثر الأمم الناهضة القوية شهامه وعدلا وهذه العوامل النبيلة قد ساعدت في انتشار سلطانهم وخضوع الأمم لحكمهم العادل الشريف .

وقد ساعد الفرنسيين ومن تحالف معهم على انهاء هذا الوجود ان قيادة القوات الإسلامية فى أرض فرنسا قد صارت بعد هرثمه إلى عبد الرحمن بن علقمه اللخمى وكان هذا يمنيا متعصبا فلما سمع بمقتل عبد الملك بن فطين القهري وهو من بني جلدته وجنسه قرر حشد كل قوات فرنسا شمال جبال البرانس (والانسحاب الإسلامي من فرنسا) وتقدرة المصادر الأوربية بمائة ألف مقاتل وسار بها لمساعدة أبناء عبد الملك بن فطين في الاستيلاء على السلطة وحكم الأندلس وأدى هذا الانسحاب القوى إلى ضعف شأن المسلمين في فرنسا وكان هذا التحرك العسكري بقوات المسلمين عوده إلى الأندلس بدلا من زيادة هذه القوات والتوسع نجدها تعود من أجل العصبية وكان ذلك سببا قويا أدى إلى زوال سلطان المسلمين في تلك البقاع وكان تورط حاكم المناطق شمال جبال البرت والدخول في الصراع الدائر على أرض الاندلس بين الفئات المتحاربه قد أفقده خيرة جنده في هذا الصراع وكانت هذه الصراعات من الأسباب القوية التي أضاعت أمل المسلمين في الثبات فميا وراء البرانس، وكان من جراء هذا الانسحاب المكثف والصراعات والتحركات

العسكرية الإسلامية تاركه أرض فرنسا أن تخلص سكان سيتماتيه ومدنها مثل تيمه مجاونه بيزيهمن الحكم الإسلامي وقامت بها حكومات محليه من أهلها وكذلك كون سكان امارات البرانس مثل كينَزِيه وتَيِّره حكم محلى لهم بعد أن خلعوا طاعة المسلمين وصار أمر أهلها بأنفسهم .

ولكن عندما استقر أمر الاندلس (ليوسف الفهرى «١٢٩هـ/ ١٣٨هـ ـ ٧٤٧/ ٧٥٦م» فإنه ارسل ابنه عبد الرحمن الى النواحي الشماليه من البرانس لإقرار أمرا الإسلام بها لكنه لقى مقاومة عنيفة وكانت المواصلات بين المسلمين في اربونه وبين المسملين في شمال الاندلس قد قطعت فطمع فيهم قافر بن اودو» دوق اكوتانيه وكان عبد الرحمن اللخمي قد عاد إلي اربونه بعد هزيمته في الاندلس ولكن امره كان قد ضعف بسب مافقده من جنده فى الأندلس (ابراهيم طرخان: المسلمون فى أوروبا فى العصور الوسطى ص ١٥٨ ـ ص ١٦٨).

لكن كيف طويت صفحة من صفحات النضال الاسلامى فى فرنسا من أجل نشر العقيدة الاسلامية السمحة فى القارة الأوروبية بعد كفاح دام أكثر من خمسين عاما على ربوع هذه الأراضى. وتقول عودة لما ذكر سابقا أن الأمور بعد أن استقرت فى شمال فرنسا لبينين القصير بن شارل مارتل حيث كان المسلمون يسيطرون على جنوب البلاد فانه استطاع ان يقضى على كل المنازعات ويدعم ملكه فى الشمال ولما كان تفرغه لانهاء الوجود الاسلامى فى جنوب بلاده وخاصة أربويه وقد سبق الحديث عن ذلك. لكن بعد أن سقطت أربويه عام ١٤١ هـ/ ٧٥٩م لم يتبقى فى فرنسا كلها الا جماعات صغيرة من المسلمين سيطرت على بعض نواحى مدن دوفيه، دوقنيه، كونيته، تنيس.

واعتصمت جماعات منهم فى شمال جبال الألب الغربية وظلت هذه الجماعات تقيم فى تلك الأنحاء فترة طويلة من الزمن، بل أن بعض المصادر الأوروبية منها تذكر أن هؤلاء المسلمين قد استولوا بعد سقوط أربويه على جرنيوبل، وقد يكون ذلك كرد فعل على سقوط مدينة أربويه فى أيدى الفرنجة فاستطاع المسلمون

السيطرة على المدينة وقد ظلت هذه الجماعات الاسلامية متحصنة فى حصونها فترة تزيد على مائة وثلاثين عاما بعد سقوط أربويه (٢٧٢ هـ/ ٨٨٩ م المعقل الرئيسى والقوى فى الشمال فى أيدى الفرنجةوقد وصل المدد والعون الاسلامى لتلك المناطق من جزيرة صقلية بعد أن سيطر عليها المسلمون وفتحها بنى الأغلب حكام تونس.

وقد كان لسقوط أربويه أثر كبير فى ضعف الوجود الاسلامى فى جنوب فرنسا اذ بسقوطها انتهى الوضع الاسلامى نهائيا فى فرنسا وقطع رجال العصابات المسيحية فى ممرات جبال البرت الاتصال مع هذه البقايا وكان من الطبيعى أن لايصل أدنى مدد عبر تلك الممرات الى بقايا الوجود الاسلامى لاسيما ان حركة الاسترداد قد استمدت العون من فرنسا وكانت هذه بداية الانهيار الاسلامى فى الأندلس، راجع كتاب كيف ضاع الاسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون تأليف الدكتور عبدالفتاح الغنيمى القاهرة ١٩٩٣).

ونهاية تقول انه لم تكن هذه المعارك التى دارت رحاها فى سهول فرنسا ولا سقوط الحصون الاسلامية فى جنوبها هى التى منعت المسلمين من العودة الى هذه الأقاليم والاصرار على الفتح ونشر العقيدة الاسلامية فى ربوع أوروبا وليس فرنسا فقط وانما الذى أوقف المد الاسلامى فى فرنسا وباقى الدول الأوروبية المجاورة والوصول الى القسطنطينية ثم دمشق فى ذلك الوقت هم المسلمون أنفسهم بما نشب بينهم من فتن عصبية بين العرب أنفسهم من يمنيه وسبائيه وعدنانية (قسيسه) وبين العرب والبربر من ناحية أخرى وما حرمهم عن مواصلة الفتوح الاسلامية فى أوروبا غير أحقاد النفوذ والسلطة والرغبة فى أن تكون الولاية والقيادة لعصبية دون عصبية غيرها، ولم تكن قوة الفرنجة كما حاولت ان توضح تلك المصادر الأوروبية سببا فى التوقف عن الفتح ثم الانهيار فى النهاية، ان الاسباب السابق الاشارة اليها كانت هى الأسباب القوية وراء انهيار الوجود الاسلامى فى جنوب فرنسا وشمال جبال البرت بل ان بعض هذه العوامل فعلت فعلها فى معركة بلاط

الشهداء وكما قالت أستاده الجيل الدكتورة (بنت الشاطىء) عائشة عبدالرحمن لقد نجح العرب المسلمون حضاريا بما قدموه للبشرية، لكنهم فشلوا سياسيا وذلك فى احدى مقالاتها الاسبوعية التى تكتبها فى صحيفة الأهرام القاهرية كل خميس من كل اسبوع.

وبذلك تكون بهذه العجالة قد استطعنا أن نلقى الضوء على معركة بلاط الشهداء (أبواتيه) المقدمات والنتائج والعوامل المؤدية الى انهيار الوجود الاسلامى فى فرنسا وكيف أن انهيار الوجود الاسلامى فى أربويه عام ١٤١/ ٧٥٩) كان مقدمة نهاية الوجود الاسلامى فى الأندلس ٨٩٧ هـ/ ١٤٩٢ م. وتلك صفحات عن بلاط الشهداء التى دارت رحاها على أرض فرنسا عام ١١٤ هـ/ ٧٣٢ م. معركة دارت أحداثها منذ مايقرب من ثلاثة عشر قرنا عام ١١٤ هـ - ١٤١٥ هـ/ ٧٣٢ - ١٩٩٤ لكن صداها يتردد فى عصرنا الحديث لاسيما منذ ظهور حركة الصحوة الاسلامية فى بداية الثمانينات من القرن العشرين هى احياء للذاكرة العربية الاسلامية لكن كتاب الغرب الأوربيين لازالوا يذكرون أحداث هذه المعركة بنشر كتب ظهرت حديثا تحاول أن تحذر الأجيال الحاضرة من مخاطر الصحوة الاسلامية لاسيما فى شمال أفريقيا (بلاد المغرب العربى) لأنهم كانوا فى ذلك خطرا مباشرا على الكيان المسيحى فى الزحف الاسلامى الواسع الانتشار عبر الهجرات المتصلة والتى تستقر فى فرنسا لاسيما أن فرنسا يوجد بها حاليا (١٩٩٦م) أكثر من اربعة ملايين مسلم من بينهم حوالى ثلاثة ملايين حاملين للجنسية الفرنسية ويكونون نواة للوجود الإسلامى سوف تزداد مع المستقبل.

الفصل الثامن

لن تكون بلاط شهداء (بواتيه)
أخرى فى القرن الحادى والعشرين

لن تكون بلاط شهداء ابواتيه أخرى
في القرن الحادي والعشرين

منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا هجريا (ألف وثلاثمائة عام وبالتحديد في عام ١١٤ هـ. ذلك الزمن البعيد العميق فى عمق التاريخ الانسانى (٧٣٢ م ـ ١٩٩٤ ـ ١٤١٦ هـ) دارت على أرض فرنسا وبالقرب من باريس العاصمة الحالية للبلاد. معركة من المعارك التاريخية التى كانت بين جند الإسلام الزاحف من الأندلس عبورا بجبال البرانس رافعا قرآنه الكريم شارحا للشعوب الفرنجية ماتحويه تعاليم هذا الكتاب الكريم المنزل على قلب سيدنا محمد ﷺ طالبا من هذه الشعوب الدخول فى هذه العقيدة السمحة التى تساوى بين الأجناس وترفع الظلم عن كاهل هذه الشعوب ولما كانت الدعوة لاتلقى قبولا من الشعوب الوثنية أو المسيحية فإن رجال العقيدة كانوا يرفعون المصحف فى يد والدفاع بالسلاح فى يد أخرى ومن هنا فقد كان الزحف الإسلامى لهداية هذه الشعوب سببا مباشرا لعبور جبال البرت للدعوة والاقناع.

لكن على الجانب الآخر كانت أوروبا ترى في الزحف الإسلامى القوى الذى استطاع أن يطوى أراضى شبه الجزيرة الايبيرية فى أقل من أربع سنوات (٩٢ ـ ٩٥ هـ) خطر يهدد القارة فكان لابد من الوقوف في وجه هذا الهجوم الزحف ومن هنا أحسنت أوروبا استعدادها ودعت شعوب أوروبا فى ألمانيا وايطاليا والبلغار والجرمان والسكسون ليقفوا جميعا خلف شارل مارتل (٧١٤ ـ ٧٤١م) الذى وضعت أوروبا فيه آمالها لوقف هذا الزحف الذى أحتوى أسبانيا سابقا.

ودارت هذه المعركة التى أطلقت عليها المصادر الإسلامية بلاط الشهداء وأطلقت عليها المعارك الأوروبية بواتية أو تور حيث وقفت تلك المعركة سدا مانعا في للاندفاع الإسلامى للتقدم نحو أرجاء أوروبا الواسعة لاسيما أن الخطة الإسلامية كانت تهدف الوصول الى دمشق عاصمة الخلافة الإسلامية عبورا لمناطق فرنسا وجنوب الألب والدانوب وصولا الى القسطنطينية لكن لم تحقق هذه الحملة

أهدافها التى رسمت لتحقيقها وقد تغننت أوروبا بنتائج هـذه المعركة قائلين ان هذه المعـركة قد حـالت دون قراءة الـقرآن فى جـامعات كـمبردج واكـسفورد وبـاريس والسربـون ورغم مضى كل هذه الـسنوات البعـيدة فان ذكرى هذه المعـركة لازالت عالقة بـذهن الانسان الأوروبى ونحن فى نـهاية القرن العشـرين (١٩٩٦م) وعلى أبواب القـرن الحادى والعشرين. ذلـك لأن الذاكرة الأوروبية لاتزال تـعى أحداث هذه المعركة التى لايدرك كنهها أو أحداثهـا فى عالمنا العربى والإسلامى سوى القلة المتخصصـة فى التاريخ الإسلامى لاسيمـا تاريخ الأندلس وان كان يعلـم بها بعض المثقفين فـى عالمنا الإسلامى فإن المعـركة لاتخرج عن معركة اسـم (بلاط الشهداء) وقد سبق ان ذكر الأستاذ مـحمد حسنين هيكل الصحفى المصـرى القدير فى مؤتمر الإدارة العليا الذى عقد فى مدينة الاسكندرية بمصر فى الخميس ٢٧/ ١٠/ ١٩٩٤م ونشرت جريدة الأهرام القاهرة بتاريخ ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٤م ملخصا لهذه الندوة تحت عنوان مـصر وتحديات القـرن الحادى العشـرون قال بالحرف الواحـد أن المواريث القديمة تطفـو على السطح مع نهاية الـقرن العشرين حيث ظهرت المـواريث القديمة تطفو على السطح مع نهاية القرن العشرين حيث ظهرت المواريث القديمة والمتغيرات الثـقافية الـكاملة فـإذا أوروبا تتحـدث بعصـبية وصيـاح وفزع عن خطـر الإسلام الزاحف وتنادى لـرد بوانيهpoitiers الدينـية الاجتمـاعية التى حـلت محل بـواتيه عسكرية كاد بها الإسلام ان يدخل كل أوروبا لولا أن تصدى «شارل مارتل charls Martel لوقف زحف المسلمين على كل أوروبا .

ونحن نتسـاءل عن الاحساس بالخطر فى أوروبا من الـدور الإسلامى، والحركة الإسلامية التى بـدأت تصحوا منذ عام ١٩٧٩ م. منذ أن حقـقت الثورة فى ايران سيطرتها على مقاليد الأمور فى البلاد وسيطرة رجال الدين بزعامة آية الله الخمينى وازاحه حكم الـشاه محمد رضا بهلـوى كان ذلك الحدث له ردود فعل فـى العالم الإسلامى والعالم الأوروبى والأمريكى بوجه خاص لاسيما أن الحكم الإسلامى فى ايران يعـني الالتزام بتعاليـم الشريعة الإسلاميـة الشيعية. ومن هنـا فقد بدأت أوروبا تدرك أبعاد هذه الحركـة الإسلامية التى تتبعها بعـض الإرهاصات الإسلامية

فى العديد من الأقطار الإسلامية محاولة البحث عن الأصوال الإسلامية السلفية التى تعتمد على المصدرين الرئيسيين للشريعة والحكم وهما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واللذين ارتكز عليهما الحكم الإسلامى طوال عصور التقدم والتطور الإسلامى.

ومن هنا ابدى العالم الغربى بجميع أقطاره فى أوروبا وأمريكا اهتماما بالغا فى الربع الأخير من القرن العشرين لدراسة مستقبل الدور الحضارى للإسلام وتيارات الحركة الإسلامية فى جميع بلاد العالم الإسلامى ومعرفة أوضاع الأصوليين (السلفيين) فى هذه الأقطار متخذة مواقف معادية أو متخوفة من الصحوة الإسلامية المعاصرة وما يعقبها من الأخطار القوية التى تهدد الحضارة المغربية فى تصورهم الخاطىء بل أن هذا الاحساس الأوروبى الغربي إزاء خطر الإسلام كما فى تصورهم قد زاد أكثر بعد عام ١٩٨٩ بعد أن انتهت الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالى والاشتراكى وتصدع الإتحاد السوفيتى وسقوط حائط برلين وانفصال شرق أوروبا وجمهويات آسيا الوسطى وبات النظام الشمولى لا وجود له على خريطة السياسة العالمية وتفردت الولايات المتحدة بقيادة المسيرة العالمية يتبعها حلفائها فى أوروبا الغربية وظهور نظام دولى جديد يقوده المعسكر الغربى ومن هنا ظهر الاحساس القوى بالخطر الإسلامى فى تصورهم وأبدوا دراسة له لكن القوى الغربية المسيحية تصوراً منها بوجود خطر إسلامى يتهددها فى حالةصحوة هذه الشعوب ومن هنا ظهرت العديد من الكتابات والمؤلفات التى تتحدث عن أخطار ومخاطر الإسلام على أوروبا والولايات المتحدة وظهرت كتابات كثيرة، كان على رأسها كتاب الرئيس السابق للولايات المتحدة (نكسون) وكذلك ماجاء على لسان هيلموت كول رئيس وزراء ألمانيا بقوله بالحرف الواحد أن الأصوليين فى الجزائر لو أتيح لهم الاستيلاء على السلطة السياسية وقيادة نظام الحكم بها وأنه لو وضعت فى أيديهم صواريخ متوسطة المدى فسوف يهددون أوروبا وكذلك قول شيمون بيريز وزير خارجية اسرائيل (رئيس وزراء اسرائيل حاليا ١٩٩٦م) وكان يشارك أخيرا فى اجتماع المجلس الأوروبى فى أسبانيا او آخر سبتمير ١٩٩٤ م كان أهم

ماقاله فى جلسة مغلقة (أن الغرب عليه أن يقف وراء اسرائيل باعتبارها الحاجز للإسلام والواقى لأوروبا ضد زحفه وعودته. ومن هنا فإن اسرائيل تقدم نفسها للعالم الغربى ضد خطر الإسلام (الأهرام ٨/ ١٠/ ١٩٩٤) أن أوروبا يجب أن تقف خلف اسرائيل وتساعدها فى القضاء على الحركة الأصولية فى العالم الإسلامى لهذا يشعر العالم الغربي (أوروبا وأمريكا) بضرورة محاربة الإسلام فى داره والقضاء عليه وعدم اتاحة الفرصة على الاطلاق لظهور حركة سلفية تدعو للعودة إلى الأصوال الإسلامية بل أنها سخرت بعض الدول فى منطقة الشرق الأوسط أو شمال أفريقيا لكى تكون أداة رئسية فى يد أمريكا وأوروبا) لتحدى وتصفية أى تيار إسلامى حقيقى يدعو للصحوة وقد يهدد مصالحها فى المنطقة أو العالم الثالث على المدى القريب والبعيد أو يهدد نظام الحكم فى تلك البلاد.

ومن هنا تحركت دول أوروبا جميعها دون استثناء سواء كان الفاتيكان أو فرنسا وألمانيا وانجلترا وهولندا وغيرها من الأقطار الأوروبية الأخرى لكى تحاول دراسة مايحدث فى العالم العربى والإسلامى ومن هنا عقدت المؤتمرات والندوات والدراسات التى تقوم بها المؤسسات العلمية والأكاديمية ومراكز البحوث ومراكز استطلاع الرأى وكان جحافل المسلمين تقف على بعد أقدام أو سنتيمترات على أبواب أوروبا تهدد باجتياحها واخضاعها للمد الإسلامى وكأننا نعيش القرن الثانى الهجرى القرن الخامس عشر الهجرى أو القرن الثامن الميلادى وليس القرن العشرين ومن هنا كانت العديد من الندوات والمؤتمرات التى عقدت ولازالت تعقد فى أوروبا والولايات المتحدة لاسيما خلال السنوات الخمسة الماضية (١٩٨٩ ـ ١٩٩٤م) لاسيما وقد انتابت الأوساط الأكاديمية والعلمية والمنظمات فى هذه البلاد خلال الفترة الأخيرة من العام الحالى فلم يعد ينقض شهرا أو شهرين إلا وتعقد ندوة أو مؤتمرا وقد كان أو أكثرها حول الإسلام لكن الصورة فى الولايات المتحدة أسرع حيث أصبحت تعقد هذه الندوات بمعدل ندوة أو مؤتمر كل اسبوع، وهذا يظهر مدى الرغبة فى معرفة حقيقة الإسلام وماذا يحدث فى العالم الإسلامى انطلاقا من أندونيسيا شرقا مرورا بماليزيا وبنجلاديش وباكستان وايران والعراق وتركيا

والعالم العربى والشمال الأفريقى لاسيما الجزائر ومحاولة كل هذه المؤتمرات معرفة ورؤية ظاهرة الصحوة الإسلامية ولا أقول (الاحياء الإسلامى) لأن الأحياء يعنى أحياء بعد موت وان الإسلام لم يمت) حتى يطلق بعض الكتاب لفظ الاحياء الإسلامى.

ونحن هنا نقول فعلا عن الأستاذ هيكل (إن الشعوب الإسلامية الفقيرة عندما تريد أن تعبر عن أحلامها وهى ترى أنها تعيش تحت الاستغلال ونهب الموارد والحقوق فإنه لايوجد طريق إلا اللجوء للدين حماية وحصنا ومن هنا فإن الصحوة الإسلامية أو السلفية الإسلامية التى بدأت تنتشر فى أرجاء العالم الإسلامى (بعيدة عن التطرف والعنف والإرهاب الذى لايقره الإسلام والذى لايدعو له والذى يكون ظهوره يعود إلى عوامل اجتماعية أو نفسية أو احساس بالاحباط وتمردا على النمط الغربى فى المعيشة) ذلك لأن الشعوب الإسلامية تتعرض فى الآونة الأخيرة ليس لنهب الموارد الاقتصادية والاستغلال والسيطرة بقدر ماهو غزو فكرى وثقافى محاولا اقتلاع جذور المفاهيم والقيم والمعاير الإسلامية عن طريق الاعلام المسلط على الشخصية العربية الإسلامية بل أكثر من ذلك محاولة التأثير على الثوابت العقائدية كما جاء في الكتاب الكريم السنة ومن هنا كان الاحتماء واللجوء للدين وقوفا ضد التيار الثقافى والفكرى والغربى ولا أقول التيار التكنولوجى العلمى التقني فى مجالات الزراعة والصناعة والعلم والأبحاث. لاسيما أن محاولة اقتلاع جذور اللغة والدين والعقيدة والنشاط الاعلامى الغزير (الأوروبى الأمريكى في خلال السنوات الأخيرة تركيزا على رقعة واسعة من العالم الإسلامى امتداد من أندونيسيا شرقا إلى المغرب غربا ومن هنا زادت الحساسية داخل العالم الإسلامى أكثر فأكثر إزاء تلك المعابر الغربية الأوروبية الأمريكية التى تحاول تثبيت مفاهيم وقيم المجتمع الغربى دون مراعاة للقيم الحضارية الإسلامية العربية الشرقية ومن هناك كانت التيارات الإسلامية حفاظا للفكر الإسلامى وحماية للإسلام من التطور العلمانى الذى يتعارض مع المفاهيم ومصطلحات الصحوة الإسلامية.

إن أوروبا عندما تتصور خطر معركة بواتيه فى القرن الحادى والعشرين فإن ذلك تصور خاطىء بل هى تدرك ومعها الولايات المتحدة حقيقة الأوضاع فى العالم الإسلامى معرفة تامة فالعالم الإسلامى الذى يشكل سكانه ثلث سكان العالم ١.٢٥٠ مليار وخمسين مليون نسمة يشكلون كما عدديا وليس كيفيا بشريا علميا متطور يقف على تقنية علمية متطورة شأنه شأن الانسان الغربى الذى يمتلك كل الوسائل والأساليب الحضارية العالية (سفن الفضاء ـ مكوك الفضاء ـ الأقمار الصناعية ـ الحرب الفضائية ـ حرب الكواكب) وكذلك العالم الغربى يعلم ان هذا الكم الرقمى ممزقا إلى أكثر من ثمانية وخمسين دولة إسلامية (دول منظمة المؤتمر الإسلامية بل هم مقسمون بين قوميات متعددة (التركي ، الباكستاني ، الهندي ، الايراني ، العربي مقسم إلى اثنين وعشرين دولة الماليزي ، الصينى والأندونيسى) مقال لنا بعنوات المسلمون بين وحدة العقيدة والانتماء القومى (جريدة الندوة السعودية جماد الأول ١٣٩٧ هـ) فليس هناك وحدة سياسية تجمع هذه الشعوب المتفرقة الموزعة بين أقطار متعددة ولا يوجد ما يجمعها الا أداء فريضة الحج كل عام «التوحد فى العبادات ومن هنا فإنه لا توجد قوة إسلامية كما هو واضح ومفهوم فى وحدة الولايات المتحدة وحولها دول أوروبا الغربية وكندا والمكسيك أو الوحدة الأوربية) ان العالم الإسلامى يعيش ممزقا فليس هناك خطر يهدد أوروبا من هذا العالم عسكريا ولا علميا ولا اقتصاديا ولا سبياسيا بل إن العالم العربى ٢٥٠ ميلون نسمة قسمون إلى اثنين وعشرين دولة وهناك محاولات (الأقليات فى العالم العربى سعد الدين ابراهيم) تقسيم العالم العربى إلى خمسين أو ٥٥ اقليميا فكيف يكن القلب الإسلامى الممزق حاليا. والذى خرجت منه قوات عبدالرحمن الغافقى عام ١١٤ هـ/ ٧٣٢ م عندما كان كل العالم العربى يخضع لقيادة واحدة قى دمشق عاصمة الخلافة الأموية فى حين يوجد حاليا اثنين وعشرين عاصمة كل منها تتخذ قرارا منفردا إضافة إلى أن هذه المنطقة العربية فى ظل النظام العالمى الجديد وفرض عليها سياسة الأمر الواقع والخضوع للسياسة

المرسومة والخاضعة للنفوذ الاقتصـادى الاسرائيلى (السوق الشرق أوسطية وأقوال شمون بـيريز)رئيـس وزراء اسرائيل فأيـن هو الخطر عـلى أوروبا وأين هـنا بلاط شهداء أخرى.

إن العالم الإسلامـى لن يستطيع أن يوحد قـوات عسكرية تقدر بعـد ثلاثة عشر قرنا للعبور إلى أوروبا و نشر الإسلام بين الغرب لكن التفوق العلمى والتكنولوجى والعسكرى بين العالم الغربى والعالم الإسلامى الذي يزيد فاصلا عن مائتى عام ان لم يكن أكثر وكيف لـعالم يعيش فى ظل الانتاج العلمى والعسـكرى والتكنولوجى فى جميـع أساليب الحياة وهـو من الانتاج الغربي قـادر على غزو هذا العـالم انها فكرة ماكرة خـبيثة تحاول النيل من الإسـلام وأهله واضعافه أكثر مما فـيه من تمزيق أقطاره وإثـارة النعرة الـقبلية (عـرب وبربر ـ عرب وفـرس (ايران ـ سنة وشـيعة) وغيرها من الاساليب الدينية التى يدركهـا المثقف العربى المسلم الـواعى لأساليب الخداع الغربى والتى تتطور وفق أساليب تتلائم والمتغيرات الزمنية.

إن العالم الإسلامى الذى يعيش بين المتنـاقضات حيث أن هناك شعوب إسلامية تموت من الجوع مثـلما يحدث فى الصومـال ومناطق الجفاف فى أفريـقية وشعوب تموت من الـشبع فى دول الخليـج) كيف يتسـنى لها ان شكل وحـدة واحدة قادرة علـى أن تقـود بوانيـه أخرى فى الـقرن الـقادم (الحادى والـعشريـن) والمشـاكل الاقتصـادية والاجتماعيـة والحدودية لا نهايـة لها. كيف أن الجـامعة العربيـة التى انشئت منذ عام ١٩٤٥ (خمسين عام ١٩٩٥ م) ولم استطع أن تحقق حلم الشعوب العـربية فـى الوحـدة. بل كيـف وأن شعار الـوحدة العـربيـة الذى ارتفـع خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن أصـبح شعار العداء والكراهية والتقوقع داخل الحدود التي رسـمها الاستعمار بعـد حرب الخليج الثانـية ٩٠ ـ ١٩٩١ م واحتلال العراق للكويت وما يسود الساحة من تسابق على الصلح مع اسرائيل والهرولة في العلاقات ومحاولات قيام وحدة بين الأردن واسرائيـل والعراق مستقبلا بعد اسقاط صدام حسين.

إن العالم الأوروبي حين يرفع شعار الخطر الإسلامي فإنه يسعى إلى تحطيم قوى الإسلام داخل حدوده وإبعاد شعوبه نهائيا في ظل العلمنة والأمركة (راجع الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين مكتبة مدبولى والأساليب الحضارية القشرية الغربية كأفلام الجنس والخلاعة والملبس والأقلام والأساليب الغربية فى أنماط المعيشة وليس الأنماط الغربية فى أبحاث الفضاء والزراعة والعلوم والذرة والتكنولوجيا . إن هذه هى التى يجب أن يأخذ بها العالم الإسلامى حينما يتحرك بالمواكبة بين الأصالة والحداثة فإنه لا يرقض كل الأنماط الحضارية العلمية الغربية التى تتمثل فى أبحاث الذرة والتكنولوجيا العلمية والمواصلات والفضاء والطب والهندسة وكل وسائل التقدم التى يدعو اليها ديننا الإسلامى الحنيف اما عنمدما يتعلق بمحاربة القواعد الثابتة فإن الأصالة العميقة تقف سدا أمام كل المحاولات وليس ظهور فئة اجتماعية ترعرعت وتربت وفق معايير غربية وتتحكم فيها مفاهيم وأطر وأساليب غريبة تحاول أن تطور المجتمع الإسلامى وفق التيار العلمانى (فشل العلمانية فى تركيا وظهور الأحزاب الإسلامية التى تبحث عن الهوية التركيه الشرقية الإسلامية) ويتأتى ذلك من حصول حزب الرفاه) بزعامة نجم الدين اربكان على نسبة ٢٢٪ من مجموع الأصوات في تركيا وهو المركز الأول في الانتخابات حيث شغل ١٥٨ مقعد ويسعي حاليا لتشكيل حكومة إسلامية تهدد مصالح الغرب (الأهرام ٨ يناير ١٩٩٦) والذى يدعو له بعض المثقفين والنخبة التى تربت فى الغرب وتقود الحياة الفكرية والثقافية فى بعض الأقطار العربية والإسلامية.

إن التيار الإسلامى التحديثى الذى يجمع بين الأصالة (السلفية والحداثة العلمية) وفق المعايير المستقبلية هو الذى يجب أن يشكل العامل الموثر والفعال فى وجه الحياة الإسلامية وان كان التيار الإسلامى المحافظ يشاركه الرؤية فى ضرورة الأخذ بالأساليب الحضارية الحديثة التى تتلائم مع القيم والموار بث والثوابت والتقاليد الإسلامية التى تسير وفق الشرع الإسلامى من خلال العمل بالكتاب والسنة.

إن المسلمين الذين نقوا بالإسلام دينا وبالقرآن كتاب الله المنزل على قلب رسوله ﷺ رسولا وخاتما للأنبياء والمرسلين يرون في العمل بما جاء بالكتاب والسنة واعتبارهما منهج حياة لايتعارض مع الأساليب التي تدعو لها الحركات الأصولية السلفية بعيدا عن التطرف والإسلام دين الوسط) وعدم استخدام السلاح في ابداء الرأى ومن هنا فإن الحركة الإسلامية تهدف الى الاستقرار الاجتماعي وبتطبيق القيم الإسلامية واقتناء أثر السلف الصالح والعدالة الاجتماعية والتطلع الى اقامة مجتمع إسلامى

واقامة دولة إسلامية ومجمتع إسلامى حقيقى وانشاء دولة إسلامية يقودها مسلمون مخلصون انه ولو سلمنا جدلا استطاعة التيار الإسلامى - اقامة نظام الدولة الإسلامية فى الجزائر دون اللجوء للعنف والارهاب والدخول فى صراع مسلح مع السلطة. فإن ذلك لايشكل تهديدا لأوروبا لأن الوضع فى الجزائر لن يمكن هذا التيار بما له من امكانيات أقتصادية وعلمية محدودة بقادر على أن يشكل تهديداً على أوروبا لأن شعوبا لازالت تعيش فى حفلات تنظيم سباق الهجن (الجمال) والخيول وتصرف أموال البترول فى القصور والرحلات والمراهنات وتضع أموالها فى بنوك أوروبا والولايات المتحدة (٧٠٠ بليون دولار) أموال عربية فى بنوك غربية هل هي قادرة على أن تواجه دول حرب النجوم (الكواكب) والأقمار الصناعية والوصول إلى المريخ وإنشاء محطات الفضاء وسفن ومكوك الفضاء (قوم يعيشون في تحقيق حلم الوصول إلى المريخ وقوم يعيشون في سباق الهجن (الجمال) هل هؤلاء يشكلون خطراً على أوربا؟لكن حقيقة يعلم الغربيون (أوروبا وأمريكا) أن القرآن الكريم يحقق أحلام البشرية وعلاج مشاكل الحضارة الغربية المادية ويرون أقبال هذه الشعوب على معرفة حقيقة الإسلام ، فإن ذلك امرا يخص الحكومات الغربية وشعوبها نفسها ، أما خطر من الشرق الإسلامي فهو شيء مستبعد وبعيد الحدوث في ظل الخلل المعايري العلمي والتكنولوجي استحالة أن تحدث في المستقبل القريب أن مايقال عن خطر الإسلام هو خيال لا واقع ويخضع لتصورات خياليه ليس لها قدرة على التحقيق

ومن هنـا فلن تكـون هناك بلاط شهـداء حديثة في الـقرن الحادي والعـشرين فلتـطمئن أوربا وليـطمئن كل الـغرب بأن الإسلام لن يـزحف عسكريا عـلى أوربا ولتعش شعوب جنوب أوربا و (فرنسا وانجلـترا والمانيا) ، في أمن واطمئنان وسلام ، فالشعوب الإسلامية الـممزقة قوميا والتي تعيش في ظل تخـلف علمي وأساليب حياتية غير متطورة ليست قادرة في القرن القادم لتشكل خطراً على أوربا .

أما رغبة الشعوب الأوربيـة والغربية لاسيما أنه يعيش عشرون مـليون مسلم في أوربا ، ٦ مليون مـسلم في أمريكا وقد يـشكلون نواة إسلامية فـهذا موضوع آخر تدرك أبـعاده شعوب وحـكومات أوربا والـولايات الامريكـية بالرغـبة في اعتـناق الإسلام وليـست هناك بـلاط شهداء (بوانـيه) أخرى إنما هـي أمور تخص الـغرب ولا دخل للعالم الإسلامي بها .

إن مايشار حـاليا عن بلاط شهداء (بواتـيه اخرى) تهدد أوربا قول مـردود عليه بأن عمليـات الاسقاط التي يسعى إليهـا العالم الغربي في تمزيق الـكيان الإسلامي وحصاراً له في دياره وتحكـما عسكريا واقتصاديا وقد تحققت لـه من فترات طويلة لكن أن تـكون السيطرة فـكرية وثقافـية وعقائديـة فهذا هو رد بلاط الشـهداء إلى العالم، إن العالم الإسلامي لن يستطيع مـهما أوتى من قوة أن يتحرك إلى السيطرة على العالم الغـربي كما أن الجاليات الإسلامية في أوربا والـولايات المتحا ة لا ولن تستطيع أن تشكل تحديا للحضارة الغـربية المادية انهم يحاربون ويضطهدون وتوضع العراقيل، أمامـهم سعيا لأدماجهم في الكـبان الغربي وقطع كل صله لـهم بالكيان الإسلامـي في بـلادهم ، فهـل هنـاك مايسـمي (بـلاط الشهـداء) القـرن الحادي والعشرين أنها اضحوكه وسخرية من تخلف العالم الإسلامي .



الخاتمة

إنه من خـلال الرؤية الواضـحة لتلك الـدراسة بجوانبـها المتعـددة ، وزواياها المحدده في تلك الفصـول يتضح لنا كيف أن الخلافة الأموية قـد سارت على نهج الخلفـاء الراشدين فـي حركة المد الإسـلامي وصولا بالـرايه الإسلاميـة إلى أوربا وكيف أن انجاز فتح بلاد الـغرب بعد عده محاولات مستعصية قد جـعلت المسلمين بالقرب من أوربا وأن مضيق جبل طارق ذلك المجاز البحري لم يكن إلا مسافة في الماء تجمع بين المغرب وجنوب أوربا فكان الاتجـاه شمالا للفتح والغزو بعد أن كان متعـذرا التحرك جنوبـا عبر الصحراء الـواسعة وصولا إلى منـطقة السفانـا جنوب الصحراء الكبرى حيث القبائل الزنجية .

ومن هنا كـان التحرك الطبـيعي شمالا لفـتح الأندلس وكان أن حقـقت الغزوة أهدافها في السيـطرة على البلاد من خلال فترة زمنية قـد لا تصل إلى أربعة أعوام (٩٢-٩٥) حيث بسـطت الإدارة الإسلامية لواء الإسـلام على الأندلس فيـما عدا مقاطعة جليقيه شمال غرب الأندلس بسبب استدعاء الخلافة الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦-٩٦هـ) لقادة الغزو موسى بن نصير وطارق بن زياد للتوقف عن الزحـف لاسيما أن الغزوة الإسلامية كانت قد اجـتازت جبال البرانس عبوراً لمعـابرها وتوغلا في الأراضـي الفرنسية تحـقيقا لخطة الـقيادة العسكـرية في الأندلس لـفتح القارة الأوربيـة وصولا إلى القسطـنطينية ثـم العاصمة دمشـق عبر الأراضي الأوربية في جنوب الألب وايطاليا والبلقان وغيرها من البلاد الأوربية.

ولما كان الخلـيفة الوليد متـردداً غير حاسما فـإنه طلب من القادة الـتوقف فوراً والعودة إلـى دمشق ولقد كـان ذلك القرار غامضـا غير واضح الهـدف وان كانت هناك تحليلات اختلفت في التفسير لكن قرار العودة كانت له آثار سلبية على حركة المد الإسلامي في أوربـا ونتائج عكسية عـلى الوجود الإسلامي في الأندلـس فيما بعد لاسيما أن المـنطقة الشمالية الغربـية من الأندلس التي لم يتم فتـحها كانت هي البؤرة التي تحركت منها حركة الاسترداد فيـما بعد حتى تم طرد المسلمين واحفادهم من الاندلـس بعد ثمانـية قرون وخمسـة أعوام (٩٢-٨٩٧هـ - ٧١١-١٤٩٢م) .

كما أنه تـرتب على قرار الانسحـاب ماسيؤدي من نتائـج سلبيه على مـعركة بلاط الشـهداء الـتي هـي محور دراسـتنـا (١١٤هـ/ ٧٣٢م) ذلـك لأن ظروف الـوضع السياسـي والعسكري في فـرنسا عام ٩٥هـ/ ٧١٦م كانت تـساعد على تحقـيق خطة الفتح لاسـيما أن القوات الإسلاميـة لم تشهد قتالا قـويا طوال تحركها في اسـبانيا ذلك لأن الوضع الـسياسي في فرنـسا والصراع بين محـافظ القصر رئيـس البلاط والملك وحكـام المقاطعات ، وعدم وجود وحـدة سياسية قوية وعـدم وجود جيش موحد قادر على التصدى مما كان يسهل عملية اقتحام لكل فرنسا على الأقل واعتبار ذلك مرحلة أولية ثم تسبقها مراحل اخرى للوصول إلى القسطنطينية لأنه ليس من المعقول أن يكون تحرك موسى بن نصير مـتواصلا إذا كان لابد من التوقف لالتقاط الأنفاس ودراسة المرحلة القادمة وكان على الأقل قد تم اطواء كل فرنسا في الدائرة الإسلاميـة أو القارة الإسلامـية التي كـانت تشمـل اجزاء من كل آسـيا وأفريقـيا وأوروبا) العالم القديم .

لاسيما أن الـقوات الإسلامية لم تفقـد إلا أعداد قليلة في معـركة لكة (lugo) شذرونه ، ولـم تكن هناك معارك تحول دون اختـراق جبال البرانس ولم تكن هناك قوة حقيقية تـقف أمام الزحفالإسلامي لاسيما أن القوط الذيـن اشتهر عنهم القوة العسـكرية دون الفرنجة فـي فرنسا، لم يصـمدوا امام الزحف الإسلامـي المهم أن استدعاء القيادة من الأندلس ترتب عليه ظهور عصر الولاة الذين تولوا قيادة الأمور في البلاد ، ولما كانـت خطة تأمين المناطق الشرقـية والشمالية للبلاد تـقتضى عبور جبال البرانـس وصولا إلى سهول فرنسا وأن الاستراتـيجية العسكرية قـد تكون لها رؤية تختلف عن رؤية القيادة السياسـية في دمشق فكان أن تحرك السمح بن مالك الخولاني٠٠١-٢٠١هـ/ ٧١٩-٧٢١م) تحركا واسعا في الأراضـي الغربية واستطاع أن يفتح العديد مـن المدن والقلاع والحصون وضم إلى الأندلس مقاطعـة سبتمانيه التي كانت تـضم سبع مدن كبرى من ذلـك الاقليم حتى أن المصادر تـقدرها بربع مساحـة فرنسا في ذلك الـوقت لكن السـمح بن مالك أسـتشهد وهو يرفـع الرابه الإسلامية في معركة طلوشه (تولوز) وكان هو أول مسلم يستشهد في معركة حربية

منذ بداية الفتح مع القوات الأوربية شـمال (جبال البرانس وهو أول موقف يوجه المد الإسلامي ويقف الفرنجة يقاتلون المسلمون بهذه القوة حيث كانت هذه الظاهرة هي الأولى في تاريخهم العسكري حيث تركت تلك الواقعة الحربية اثارها الواضحة على الجانب الإسلامي مما زاده تصميما على مواصلة الفتح والجهاد وكان أن تولى قيادة الـقوات العائـدة إلى الأندلس أحد الـقادة الذين سـيكون له دور حـاسم في تاريخ الأندلس والتاريخ الأوربي ذلك هو عبد الـرحمن بن عبد الله الغافقي وعاد ادراجه سالمـا بالقوات وكان أن آلـت قيادة البلاد إلـى عنبسه بـن سحيم الكـلبي (١٠٢-١٠٧هـ) وكان هذا القائد من أمثال عقبة بن نافع الفهري وموسى بن نصير وغيره من الـفاتحين العظام فبـعد أن آمن الجبهة الداخـلية انطلق في غـزوة سريعة واسعة الانـشار ، بالغة الأثـر حيث اخترق الاراضـي الفرنسـية في سرعة مـذهلة ووصل إلى بلده سانيس sens حيث لم يصـل إليها قائد مسلم مـن قبل ولا بعد حيث وقفـت قواته على بعـد ثلاثين كيلو مـتر من باريس علـى نهر الرون Rohne لكن هـناك أسباب حـالت دون اكمال الـفتح نظرا لـبعض المشـاكل الداخلـية في الأندلس ممـا اضطره للعـودة سريعا ولولا الـعودة لتغـيرت الأمور أكثر ولـسار المد الإسلامي إلى أبعاد أكثر عمقاً في الأراضي الفرنسية وكان عنبسه بعد أن وصل إلى مدينة شالون قد تـفرعت حملته إلى فرعين فرع سار شمالا حـتى وصل إلى مدينة لانجر وفرع اتجه شمالا غربا حتى وقف عند بلـده سانس على بعد ثلاثين كيلو مترا من باريس العاصمة الحالية وكانت عصابـات القوط قد كمنت له في معابر البرانس في شهر شعبان من ١٠٧هـ/ ديسمبر٧٢٥م واستهـشد عنبسه بن سحيم الكلبي وهو عائد إلـى الأندلس وجاء بـعده بعض الولاه الـذين لم يكن لـهم نشاط فـي الغزو خلف جبال البرت حتى آلت الأمور إلى عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي صاحب معـركة بلاط الـشهداء (صـفر ١١٢ - رمـضان ١١٤هـ) (ابـريل ٧٣٠ - اكتـوبر ٧٣٢م) لكي يـواصل مسيـرة الفتح في الأراضـي الفرنسيـة لكنه عـمد إلى اختيار طريق لم يألفه الفاتحون من قبل حيث اختار طريقا إلى غرب جبال البرت وعبر من

معابـر ضيقة حيث عـبر في ممرات روبشـفاله ولم يسـلك الطريق القـديم الذي يمر بستماتيه وحوض الروان واتجه مباشرة إلى بردال . . التي لا تبعد كثيرا عن ساحل المحيط الاطلنطي واندفع في مسيرته مسـيطرا على العديد من المدن والاقاليم. التي سبق أن اشرنا إليهـا في صلب الدراسة بعد أن قطع مسافـة تزيد كثيرا عن ١٣٠٠ كيـلو مترا مـن العاصمـة قرطبـة واكثر من أربعمائـة كيلو مـتر من حدود جـبال البرانس . . وهناك كانت أوربا قد عقدت عزمها وحشدت حشودها وجمعت عتادها وجيشت جـيوشها ووقفت الـبابويهفي رومـا تشد من أزر (شارل مارتـل . . لكي يصـد الزحف الإسلامـي الذي كان قـاب قوسين أو أدنـى في السيـطرة علـى كل الأراضي الفرنسية لاسـيما إنه كان قد أعد خطه للأستقرار حـيث كان يترك في كل مدينة يتم فتحها حامية عسكرية ويعيـد تنظيم شئونها الاداريه ولم يكن فتحا سريعا خاطفا مثلما كان يحدث من قبل ووصل في زحفه إلى بلدة تور Tours الواقعة على أحد فروع نهر اللوار حيـث لم تكن تبقى أمامه إلا مسافات بسيـطة حتى يكون قد اقترب مـن حدود الالمان والبلـجيك لكن قـوات فرنسا والمانـيا والبلغـار والسلاف والايطاليين والسكسون والبايوبه(الإيطـاليين - اللمبارد) والتي زادت عن أربعمائة ألف جندى مقاتل في حين أن قوات الغافقي لـم تكن تزيد عن سبعين ألف مقاتل ترك أكثر من ثلاثين ألف كحاميات في المدن والأقاليم التي فتحها قبل الوصول إلى مدينة تور Tour وكان ان انسحبت القوات الإسلامية جـنوبا إلى موقع بالقرب من ابواتيه ودارت المعركة التي استمرت حوالي عشرة أيام احرز المسلمون انتصارات في الأيام الأولى من القتال لكن وصول بعض القوات الأوربية إلى القلب حيث تلقى القائـد عبد الرحمـن الغافقي رمـية سهم قاتلـه مما جعل هنـاك ارتباكا في الـقيادة الإسلامية وكـان القائد الغافقـي قد جعل مجلس الحـرب والمستشاريين العـسكريين يعقـدون مؤتمرا سريـا يتم فيـة الإتفاق على الانـسحاب ليـلا من المعركـة حيث تم الانسحـاب المنظم بعد أن تـرك المسلمون خـيامهم وبعـضا من معداتهم فـي مكان المعـركة كما هـي مما جعل الـفرنجة ومن معـهم من حلفائـهم لا يشعرون بـخطة الانسحـاب المنظمـه التي تم ابلاغهـا إلى كل الجنـود والقادة. وفي الـصباح أدرك

الفرنجة أن معسكر المسلمين كما هو لكنه ليس هناك أدنى حركة فتقدموا ليجدوا المعسكر خاليا من أية قوات وكان هذا الانسحاب المنظم دليل على قدرة المقاتل المسلم علي التمويه والتعتيم وتضليل استخبارات واستطلاعات العدو التي فشلت في معرفة ميعاد الانسحاب ولما ادرك الأوربيين ماتم لم يفكروا في تتبع القوات الإسلامية المنسحبه جنوبا سواء كانوا من قوات المشاه أو الفرسان أو راكبي الدواب والإبل فلم يتحرك جندي أوروبي واحد لمتابعة حركة الانسحاب ويبدوا ان عبد الملك بن فطين الفهري (١١٤ـ ١١٦هـ/ ٣٢م/ ٩٣٤م) قد كان هو قائد القوات المنسحبه والمسؤل عن خطه الانسحاب مثلما فعل قبله عبد الرحمن الغافقي عندما قاد القوات الإسلامية المنسحبة عند قرقوشنه عندما استشهد السمح بن مالك الخولاني ، لكن يتبادر إلى الذهن هنا سؤال هو هل توقفت حركة الفتوح الإسلامية في جنوب فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء أم أن هناك تحركات إسلامية كانت تتحرك في تلك الأقاليم لفرض النفوذ الإسلامي ومحاولة العودة للسيطرة علي الأرضي الفرنسية من جديد . أن احلام العوده لم تكن تراود خيال القادة الذين تحركوا واقعا وحقيقة لدفع الراية الإسلامية فكان أن تحرك الولاه والقادة بعد عبد الرحمن الغافقي لاسيما أن عبد الملك الفهري قام بنشاط جهادي فيما وراء جبال البرت وتثبت الوجود الإسلامي في اقليم سيتماتيه وليون وبورجونيا وذلك في العام ١١٥هـ/ ٧٣٣م وفي عهده حافظ المسلمون علىٰ مكتسباتهم فيما وراء جبال البرت بل أوغلوا في وادي الرون واستمر المسلمون طوال أربع سنوات في هذه المناطق يقاتلون ويستولون علي المدن قبل العوده إلى أربونه لكن الخلافة الأموية في دمشق لم تكن تضع في حساباتها في ذلك الوقت التوسع والفتوحات في فرنسا لاسيما أن عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) قد شهد الكثير من التغييرات في القيادة في المغرب . ومن هنا فإن التوقف لم يكن من أثر موقعه بلاط الشهداء بقدر ماكان بسبب عوامل داخلية في الدولة الأموية . لكنه ليس حدوث انهزام أو انسحاب واحد لأول مرة في تاريخ الفتح الإسلامي يعني توقف الفتح نهائيا. لقد خسر المسلمون أكثر من ثلاث معارك مدويه في المغرب لكن ذلك

لم يمنعهم عن مواصلة الفتح والغزو لاسيما بعد أن فشل شارل مارتل نفسه صاحب معركة بلاط الشهداء يعاونه أخيه شلدباتد Chilabrand أمام حصون أربونه أكثر من مرة ورغم الاستعانه بقوات حليفهم ملك اللمبارد الايطالي إلا آن الفشل كان من نصيبهم وظلت أربونه ثغرة في جسد شارل مارتل بل ثغرة دائمة في بلاده حتى وفاته عام ١٤١هـ (١٣٢- ١٤١هـ) طوال تسعة أعوام لاسميا أن المسلمين كانوا يرون أن سيطرتهم على أربونه وفرقشونه وكذلك مقاطعة البروفانس شمال سبتماتيه ومناطق نهر الرون ومقاطعة برجنوبا Purgunda مقدمة لتحقيق طموحاتهم في استعاده مافقدوه في فرنسا شمالا فقط عند بلاط الشهداء لكنهم بعد استشهاد الغافقي شهدت البلاد الأندلسية تولي عقبة بن الحجاج السلولي (شوال١١٦صفر - ١٢٣هـ) (٧٣٤-٧٣٩م) وكان عقبة رجلا من طراز الغافقي لذا كان عزمه على التحرك شمالا حيث استولى على العديد من المدن والحصون شمال المنطقة الإسلامية فاستولى على دوقية ثم سان بول تردا ودوتريز واستولى على أقليم فالانس ومدينة فنين حتى أنه كاد يقترب من أراضي بواتيه وتورز حيث معركة بلاط الشهداء ، ثم إنه توسع في الإقاليم الجنوبية الشرقية من فرنسا فأعاد فتح أقليم بورجوبيه ودخل أقليم بيدمنت في شمال ايطاليا.

وفي عهده بدأ المسلمون يستعدون مراكزهم من جديد في أرض فرنسا ومن هنا فقد احس شارل مارتل بالخطر للمرة الثانية يتهدد بلاده بعد تقدم المسلمين إلى جنوب فرنسا بحشود ضخمة ، لكن الأعمال التي قام بها عقبة السلولي لم تكن لتبلغ غايتها حيث استشهد في معركة عند مدينة قرقشونه أحدى مدن مقاطعة سيتماتيه اثناء عودته للأندلس في صفر ١٢٣هـ وقد ارتبط اسمه بحركة غزو واسعة في شمال جبال البرت وبوفاة عقبة السلولي انتهت المحاولات الإسلامية لغزو أوروبا وخمدت حركة التوسع التي لم تستطع أن تحقق التوسع النهائى بضم فرنسا وتكوين دولة إسلامية فرنسية تجاور الأندلس لاسيما أنه جاء بعد عقبة ولاه ضعاف عجزوا عن أن يحافظوا على مكتسبات الإسلام والمسلمين شمال جبال المعابر

(البرت) ولم يحاولوا انتهاز فرصة الصـراع بين ابناء شارل مارتل الثلاث بعد وفاته عام ٧٤١م لاسيـما أن الظروف كانـت تمكن لهم لـكن فترة الـضعف التي انـتابت الخلافـة الأموية بـعد وفاة هـشام بن عـبد الملـك ابن مروان عـام ١٢٥هـ/ ٧٤١م جعلت القيادة الجديدة في دمشق لا تولي الاهتـمام الكافي بحركة الفتوح في فرنسا (تولى ثلاثة ولاة أمويون في فترة ثلاث سنوات).

وكان تولي بينـين القصير بن شارل مارتل الحكم في فـرنسا ٧٤١-٧٥٨م) تعني مواصلة الجـهود لاجل طرد المسلمين مـن بلاد شمال البرت وشهدت فـترة ضعف الولاه حـتى قدوم عبـد الرحمن بـن معاوية بـن هشام بن عـبد الملك بـن مروان (١٣٨هـ) إلى الأندلس استعـادة الفرلجة للعديد من المدن مثل نـيمه وآجد وديزلي وماجلون وفرضوا الحصار للمره الثالثة على اربونه ، وحاول عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢م/ ٧٥٦-٧٨٨م) ارسال حملة لمحـاولة فك الحصار عن اربونه لـكنها فشلت في اجتيـاز معارك جبال البرت وقضى رجال العصابات فـي هذه المعابر على الفرقة الإسـلامية ومن ثم تم للفـرلجة تنفيد المؤامرة بمـساعدة بعض المسيـحيين من الأقاليم الواقعة بالقرب من المعابر في عـدم السماح للمد الإسلامي للاندفاع شمالا في عـهد عبـد الرحمـن الداخل وهـذا لم يـأتي عام ٧٥١م/ ١٤١هـ حتى فـقد المسلمون هذه البلاد التي خضعت للحكم الإسلامي نحو أربعين عاما على يد بينين القصير Pipin le Berf ابن شارل مارتل ووالد شارلمان.

لكن بعـد سقوط ، اريونه ظلـت هناك بعض المدن الـصغيرة في جنـوب فرنسا تخضع للسيـادة الإسلامية لكن سقوط المدينة (اربون) كان نهـاية التوسع في أوربا وراء جبال البرت فقد انتـهت خطط المسلمين التوسعية واقتنـعوا منذ سقوط اربونه بالانصـراف إلى الأندلس ولم يعـد هناك أدنى تطـلع للنظـر شمالا أو التفكـير في ارسال حملات إلى بلاد الفرلجة حيث تحولت خطة شرلمان حفيد شارل مارتل وابن بنين القصير إلـى الهجوم بدلا من الدفاع ونقل ميدان المـعركة إلى أراضي الأندلس نفسـها بدلا من تحـرك المسلمـين شمالا للـغزو داخل أراضي فـرنساواختـل الميزان

العسكري وبدأ المسلمون في التراجع إلى داخل الأندلس وبذلك طويت صفحات معركة بلاط الشهداء بما كان لها من مقدمات وما أعقبها من نتائج ووضعت الأقلام عن الكتابة عن الوجود الإسلامي الديني والسياسي والثقافي والفكري والعلمي في فرنسا بعد عام ١٤١هـ/ ٧٥٩م لتكون بذلك قد اسدل الستار على بداية الرحلة ومشوار معركة بلاط الشهداء .

تم بحمد الله وتوفيقه وعونه تعالى التصحيح

في الأربعاء ١٩ شعبان ١٤١٦هـ / ١٠ يناير (كانون ثان) ١٩٩٦م

المصادر والمراجع

أولا : المصادر

١- ابن الاثير (أبو الحسن الجرزي) الكامل في التاريخ : بيروت / ١٩٦٥ .

٢- ابن حيان (خلف بن حسن) المقتبس من تاريخ رجال الأندلس . تحقيق محمود مكي . بيروت / ١٩٣٧ .

٣- ابن الخطيب (محمد بن سعيد) الاحاطه في اخبار غرناطه . القاهرة / ١٩٠٤ .

٤- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد . المقدمة . بيروت ، ١٩٧٨ .

٥- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر . القاهرة، ١٢٨٤م.

٦- ابن القوطيه (أبو بكر بن محمد) تاريخ افتتاح الأندلس : مدريد ، ١٨٦٨م.

٧- الحميري (محمد بن فتوح الازدي) جذوه المقتبس في ذكر ولاه الأندلس . القاهرة ١٩٦٦ .

٨- الحميري (محمد بن عبد المنعم الضهاجي) الروض المعطار في خبر الاقطار ، صفة جزيرة الأندلس .تحقيق ليفي بروفنسال . القاهرة ، ١٩٣٧م

٩- الطبي (أحمد بن يحيي بن عميره) بغيه الملتمس في تاريخ رجال الأندلس القاهرة ١٩٦٧م.

١٠- المراكشي (أبو عبد الله بن عذاري) البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب بيروت . ١٩٣٠م.

١١- مؤلف مجهول : اخباره مجموعة . نشرة اميلو لافونتي أى الكترا . مدريد ١٨٦٧م.

١٢-ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب : تحقيق أحسان عباس بيروت ١٩٦٨م.

ثانيا : المراجع

١٣- ابراهيم أحمد العدوي : المسلمون والجرمان . القاهرة ١٩٦٠م

١٤- ابراهيم أحمد العدوي : المجتمع الأوربي في العصور الوسطي : القاهرة ١٩٦١م.

١٥- ابراهيم أحمد العدوي : موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي . القاهرة. د.ت

١٦- إبراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا . بيروت ١٩٨٠ .

١٧- ابراهيم على طرخان : المسلمون في أوربا في العصور الوسطى . القاهرة ١٩٩٦ .

١٨- أحمد شلبي : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . القاهرة ١٩٦٩ .

١٩- أحمد توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، الجزائر ، ١٩٥٦م

٢٠- جورجي زيدان ، فتح الأندلس. القاهرة ١٩٧٧ .

٢١- السيد عبد العزيز سالم «تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، بيروت١٩٦٢م.

٢٢- حسن على حسن : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس . القاهرة ١٩٩٠م

٢٣- حسن محمد جوهر : اسبانيا فردوس العرب المفقود . العرب ، ١٩٧٦م .

٢٤- حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس . القاهرة١٩٨٠

٢٥- حسين مؤنس : فجر الأندلس (٧١١-٧٥٦م) القاهرة : ١٩٥٩ .

٢٦- ساميه مصطفي مسعد : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس. القاهرة د.ت.

٢٧- سعيد عبد الفتاح عاشور · أوربا في العصور الوسطى القاهرة ١٩٦٦

٢٨- شكيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط . بيروت ١٩٦٦ .

٢٩- صابر محمد دياب : سياسة الدولة الإسلامية في حوض البحر المتوسط . القاهرة : ١٩٧٣ .

٣٠- عبد الشافي غنيم عبد القادر : التاريخ الإسلامي حتى ١٣٢هـ القاهرة ١٩٨٦ .

٣١- عبد الرحمن على حجي : التاريخ الأندلسي : القاهرة ١٩٨٣ .

٣٢- عبد الرحمن على حجي: الحضارة الإسلامية في الأندلس ، بيروت ١٩٦٩م.

٣٣- عبد الحميد العبادي : المجمل في تاريخ الأندلس . القاهرة :١٩٦٤ .

٣٤- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : موسوعة تاريخ المغرب ، ٦ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

٣٥- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : الإسلام والثقافة العربية في أوربا . القاهرة ، ١٩٧٩ .

٣٦- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون - القاهرة ١٩٩٣ .

٣٧- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : الإسلام والثقافة العربية في فرنسا (مقال) مجلة رابطه العالم الإسلامي بمكة ،١٩٧٥ .

٣٨- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : الإسلام والمسلمون في فرنسا بعد معركه بلاط الشهداء ـ مجلة رابطة العالم الإسلامي - مكة ١٩٧٦ .

٣٩- عزيز أحمد تاريخ صقلية الإسلامية ، ترجمة امين الطيبي ، طرابلس العرب ، ١٩٨م

٤٠- عمر فروخ : العرب والإسلام في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، بيروت ١٩٥٩ .

٤١- فايد حماد عاشور : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ، بيروت ، ١٩٨٥م

٤٢- فؤاد محمد فخر الدين : مستقبل المسلمين : القاهرة ١٩٧٦ .

٤٣- محمد عبد الحميد صقر . الفتح الإسلامي للاندلس ، القاهرة ١٩٨٥ .

٤٤- محمد عبد الهادي شعيره : المرابطون ، تاريخهم السياسي، القاهرة ١٩٦٩ .

٤٥- محمد محمد الشيخ : دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الأندلس - الاسكندرية -١٩٨١ .

٤٦- محمد محمد الشيخ : الممالك الجرماتية في أوربا في العصور الوسطى . الاسكندرية ١٩٧٥ .

٤٧- محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس القاهرة ١٩٥٩ .

٤٨- محمد عبد الله عنان - مواقف حاسمه في تاريخ الإسلام . القاهرة ١٩٥٢ .

٤٩- محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية في الأندلس والبرتغال - القاهرة - ١٩٦١م

٥٠- حاطوم نعوم: تاريخ العصر الوسيط في أوروبا . بيروت ١٩٦٧ .

٥١- لطفي عبد البديع : الإسلام في اسبانيا .

٥٢- محمد محمود ربيع : اراء في الصحوة الإسلامية . القاهرة ١٩٥٨ .

ثالثا : الكتب المترجمة :

٥٣- دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا . ترجمه حسن حبشي - القاهرة ، ١٩٦٣ .

٥٤- دايفز : شارلمان . ترجمة البار العربي . القاهرة : ١٩٥٩ .

٥٥-ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس : ترجمة السيد عبد العزيز سالم . القاهرة ١٩٦٩ .

٥٦- ليون ، جوستاف : حضارة العرب . ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٥٧- لين بول : العرب في اسبانيا ترجمه على الجارم ، القاهرة ١٩٦٠ .

٥٨- سيد بو . ل . أ : تاريخ العرب العام . ترجمة عادل زعيتر - القاهرة ١٩٦٩م.

٥٩- باول شمتز : الإسلام قوة الغد العالمية : ترجمة محمد شامه .القاهرة ١٩٧٤ .

٦٠- ليفي بروفنسال : المعارك العربية في اسبانيا : ترجمة الطاهر مكي . القاهرة ١٩٧٤ .

٦١- قشير: تاريخ أوربا العصور الوسطي . ترجمة محمد مصطفي زيادة / البار العريني . القاهرة ١٩٩٦م.

٦٢- عبد المنعم ماجد . التاريخ السياسي للدولة العربية . القاهرة ١٩٦٠

٦٣- عبد المنعم ماجد: العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي . بيروت ١٩٦٣ .

٦٤- سيدة اسماعيل كاشف . الوليد بن عبد الملك ، القاهرة ١٩٦٢ .

٦٥- أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس . الاسكندرية ١٩٦٣ .

٦٦- على حسن الخربوطلي : الإسلام في حوض البحر المتوسط . بيروت ١٩٧٠ .

٦٧- أحمد أمين : ظهر الإسلام : القاهرة ١٩٣٦ .

رابعاً : المراجع الأجنبية :

1-Brooke, Z.N. : Ahistory of Europe. London, 1928.

2- Aimond, ch : le Moyen Ages :Paris, 1917.

3- Altamiro R: A History of Spain From the Beginning to the present . London, 1952.

4- Anwar, C. Chajne, : Maslim spain. its History and culture. 1973.

5- Davis, K.H. : Ahistory of Early Mediaevrl Europe . London, 1966.

6- Denciel, An Islam, Europe and Empire : london, 1968.

7- Chew, M.A latham, C: Europe in Middle Ages . London, 1936.

8- Bernharal & whishaw :Arbic spain. london, 1976.

9- Daniel . The Arabs and medival Europe . london, 1476.

10- Deanesly: Ahistory of Earl medieval Europe. London, 1956.

11- Abdel Rahman, El - Hajji : Andulusian Oiplomatic Relations with western Europeduring the umayyad period Beirut. 1970.

12- Gayangos . The History of Mohammedan Dynasties in Spain, london, 1981

13- Hole, M: Andalus spain under the Muslims, London, 1958.

14- Freeman, E.A.: Western Europe in Eight century, london, 1904.

15- Hoyt, and chodorow: Europe in the Middle Ages U.S.A1975.

16- Lane -poole : The Moors in spain . London, 1967.

17- Levi - pronvencal , Histore del'Espagne Musulmane' paris 1950.

18- Liver more, Harold: History of Spain. London, 1966.

19- Murphy, J.c. History of the mohomedan Empire in spain london, 1816

20 - Reud, JHan: The Moors in spain and portugal . London, 1974.

21- Relnsaud: Muslim in France, Northrern Ituly and swizerland. Lahore 1964.

22- Scott, S.P: History of the Moorish Empire in Europe, London, 1904.

23- Mercien Etseguin : charles mertel et la Butaille depoitiers. paris, 1944.

24- Marcais G: la Berberie Musulmane et l`orient an moyen age. Paris, 1946.

25- Rienaud : invasions des Arabes en France. Paris, 1984.

كتب صدرت للمؤلف

١- الإسلام والثقافة العربية في أوربا . عالم الكتب ١٩٧٩م.

٢- الإسلام والعروبه في السودان العربي ١٩٨٥م.

٣- حركة المد الإسلامي في غرب افريقيا . نهضة الشرق ١٩٨٦ .

٤- الإسلام والمسلمون في جزر البحر المتوسط نهضة الشرق ١٩٨٦م

٥- دور مصر الحضاري في القارة الأفريقية دار الموقف العربي ١٩٨٢٣ .

٦- جمال حمدان في ذاكره التاريخ المؤلف ١٩٩٣م

٧- عروبة مصر قبل الإسلام دار الاشعاع ١٩٩٣م

٨- كيف ضاع الإسلام في الأندلس المؤلف ١٩٩٣م.

٩- موسوعة تاريخ المغرب الإسلامي . ٦ أجزاء مكتبة مدبولي ١٩٩٤ .

١٠- الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين - مكتبة مدبولي. ١٩٩٥

١١- الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا - مكتبة مدبولي .١٩٩٦

١٢- الإسلام وحضارته في قلب افريقيا - مكتبة مدبولي .١٩٩٦

أكثر من ألف مقال في العديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية والإسلامية في مختلف أقطار العالم الإسلامي . السعودية ، اليمن ، الكويت ، الامارات العربية ، أبو ظبي ، دبي ، الهند ، المغرب ، .

١- صحيفة الاهرام

٢- صحيفة الندوة.

٣- أخبار العالم الإسلامي

٤- صحيفة المدينة.

٥- مجلة رابطه العالم الإسلامي

٦- مجلة التضامن الإسلامي.

٧- مجلة الفيصل.

٨- مجلة الدعوة.

٩- مجلة العرب

١٠- مجلة قافلة الزيت

١١- مجلة البلاغ (الكويت)

١٢- مجلة الوعي الإسلامي.

١٣- مجلة منار الإسلام.

١٤- مجلة الضياء .

١٥- مجلة الارشاد.

١٦- مجلة العربي

١٧- مجلة دعوة الحق

١٨- جمعية الرائد الهندية .

رقم إيداع 3298/ 96

الترقيم الدولى . I. S . B . N

977 - 232 - 081 - 9